غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الواحد والثمانون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

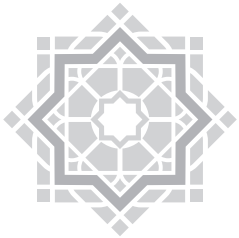

غير مرخصة للطباعة

المِحْوَرُ العَاشِرُ
نَحْوَ وَحْدَةٍ فِكْرِيَّةٍ لِلْعَامِلِينَ لِلإِسْلَامِ

١٥٨ شمول الإسلام

١٥٩ موقف الإسلام
من الإلهام والكشف والرؤى
ومن التمائم والكهانة والرقى

١٦٠ كيف نتعامل مع التراث
والتَّمَذْهُب والاختلاف

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحـور العاشــر

نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام

١٥٨

شمـول الإسـلام

غير مرخصة للطباعة

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥].

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكنْ ليَنْسَى شيئًا**»، ثُمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. رواه البزَّار والبيهقي.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح**». رواه أحمد وابن حِبَّان.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ على شِعْب ـ وهو المُنْفَرَج بين جَبَلَيْن ـ فيه عُيَيْنة ـ أي عين صغيرة ـ من ماءٍ عذبة، فأعجبته لطِيبِها، فقال: لو اعتزلت النَّاس فأقمتَ في هذا الشِّعْب، ولن أفعل حتَّى أستأذنَ رسولَ الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: «**لا تفعلْ، فإنَّ مُقَام أحدِكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا! ألا تُحِبُّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنَّة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وجبتْ له الجنَّة**». رواه أحمد والترمذي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مكتبية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهمَّ ربَّنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملءَ السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، وصلاة وسلامًا على صفوتك من خلقك، وخاتم أنبيائك ورسلك، سيِّدنا وإمامِنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فقد كان من قدر الله تعالى وفضله علي، أن هيَّأ لي الاستماع إلى الإمام الشهيد حسن البنَّا وأنا طالب في السنة الأولى من المرحلة الابتدائيَّة بمعهد طنطا الأزهري الديني، وذلك عام ١٩٤١م، وقد تجاوزت الرابعةَ عشْرةَ من عمري.

كان حسن البنَّا يتحدَّث في مناسبة الهجرة النبويَّة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، ولأوَّل مرَّة في حياتي أسمع منذ عقلتُ ووعيت كلامًا جديدًا عن الهجرة الشريفة، وما يستخلص منها من دروسٍ وعبر، فطالما سمعت في أوائل المُحَرَّم من كلِّ سنة من الوعَّاظ والخطباء في قريتنا قصَّة الهجرة وأحداثها، خصوصًا ما يتعلَّق بقصة «الغار»، ونسخ العنكبوت، وبيض الحمام إلخ. ولكنَّ حسن البنَّا تحدَّث

QaradawiBooks.com

عن الهجرة باعتبارها حدًّا فاصلًا بين عهدين: عهد تربية الفرد في مكَّة، وعهد إقامة الدولة في المدينة، وخصائص كلٍّ منهما، وكيف نستفيد نحن في هذه الذكرى، لنعمل على تكوين الفرد المسلم، وصولًا إلى بناء المجتمع والدولة.

تركت كلماتُ حسن البنَّا أثرها في عقلي وقلبي، وظللتُ أترقَّب وصوله إلى مدينة طنطا عاصمة مديرية الغربيَّة في المناسبات المختلفة، لأُهَرْوِل إليه، وأستمع إلى حديثه بشغفٍ ولهفة، وإن كنت لم أدرِ بعدُ ما السبيل إلى الانخراط في جماعته، والانضمام إلى ركب دعوته؟

حتَّى كنتُ في السنة الرابعة الابتدائيَّة، ودُعِيتُ من قِبَل قسم الطُّلَّاب في شُعْبة الإخوان بطنطا للمشاركة في النشاط الثقافي بإلقاء قصيدة شعريَّة في موضوع إسلامي أختاره.

واستجبتُ للدعوة مُسْتَبْشِرًا، واعتليتُ المِنَصَّة لأوَّل مرَّة في مركز الإخوان لألقي قصيدةً أنشأتُها بهذه المناسبة، لم أعُد أذكر إلَّا مَطْلَعها:

قَلْبِي يُحِسُّ برحمةٍ تتدفَّقُ ويرى الملائكَ حولنا قد أَحْدَقوا

واعْتُبِرْتُ من ذلك اليوم واحدًا من طلَّاب الإخوان المسلمين، ثُمَّ بعد ذلك أحد أعضاء قسم نشر الدعوة، الَّذي يُشْرف عليه الداعية الكبير أستاذنا البَهِيُّ الخولي رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان الإمام حسن البنَّا في القاهرة، وكنتُ في طنطا حيث أدرس في معهدها الديني قريبًا من قريتي، ولهذا كانت فرصة لقائي بالإمام البنَّا محدودة، وهي مرهونة بزيارته لطنطا أو للمدن القريبة منها، أو المرتبطة بها مثل: المحلَّة، أو كفر الزيَّات، أو دُسُوق.

وكم كنتُ مُعَلَّـق القلب بذلك اليـوم الَّذي أفرغ فيه من دراسـتي الثانويَّة بطنطا، وألتحق بجامعة الأزهر بالقاهـرة، حيث تتاح لي فرصة اللقاء والملازمة والتتلمذ المباشـر للإمام البنَّا، ولكن القدر كان يخبئ شيئًا ادَّخره للرجل الكبير، وهو الشهادة في سبيل الله.

وما كان أفجعه من نبـأ، نزل علينا كوقع الصاعقـة، حين قرأناه في الصحف، يوم ترحيلنا من سجن قسم أوَّل طنطا إلى معتقل «هايكستب»، ومنه إلى معتقل «الطور» في ١٣ فبراير ١٩٤٩م نبأ اغتيال الشيخ البنَّا، هدية للملك فاروق في يوم عيد ميلاده!

وهكذا قدَّرْتُ شـيئًا، وقدَّر الله شـيئًا آخر، وحُرِمْتُ التتلمذ المباشر على إمام الدعـوة، ولم يبقَ أمامي إلَّا التتلمذ علـى أفكاره المبثوثة في رسائله ومقالاته، وفي تلامذته وأصحابه الَّذين عايشوه وتلقَّوا عنه العلم والعمل، والفِكْر والسلوك.

والحقُّ أنِّي لم أُعْجَب بشخصيَّة حيَّة لقيتُها وتأثَّرت بها، كما أعجبت بشـخصيَّة الشـهيد حسـن البنَّا، الَّذي آتاه الله من المواهب والمَلَكات ما تفرَّق في عدد من الشـخصيَّات، فقد جمع بين العلم والتربية، ومزج بين الفكر والحركة، وربط بين الدِّين والسياسة، ووصل ما بين الرُّوحانيَّة والجهـاد، وكان النموذج الحـيَّ للرجل القرآنـي، والمُعَلِّـم الربَّاني، والمجاهد الإسـلامي، والداعية العصري، والمُنَظِّم الحركيِّ، والمناضل السياسيِّ، والمصلح الاجتماعيِّ.

ولم يكن هذا شـأني وحدي، فإنَّ كلَّ من عرف حسـن البنَّا أعجب به إعجابًا كبيرًا، وكلما زادت معرفته به بالاختلاط والمعاشرة ازداد إعجابًا به، وحبًّا له، كما لمسـتُ ذلك من كثيرين من شـيوخ الدعوة وشـبابها: البَهِيّ

QaradawiBooks.com

الخولـــي، ومُحَمَّد الغزالـــي، وســـيِّد ســـابق، وعبد العزيز كامـــل، وفريد عبد الخالق، وعمر التلمساني، ومصطفى مشهور، وعباس السيسي، وغيرهم.

ومن لم يعرف حســـن البنَّا عن طريق المعايشـــة والمخالطة عرفه عن طريق أثره الفكري والتربوي والتنظيمي، وهذا ما جعل الشهيد سيِّد قُطْب يصفه بـ «عبقريَّة البناء» حين شـــاهد هذه المجموعة الهائلة من الترتيبات والأبنية والنظم التربويَّـــة والحركيَّة الَّتـــي ابتكرها هذا الرجـــل «المُلْهَم الموهوب» كما سمَّاه المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني رَحِمَهُ اللَّهُ.

والَّذي يُهِمُّنا هنا أنِّي وَعَيْتُ ما كتبه الشـــهيد البنَّـــا، وقرأتُ تقريبًا كلَّ ما عثرتُ عليه من تراثه، وإن كان ممَّا يُؤْسَـــفُ له أنَّ هذا التراث إلى اليوم لم يُنْشَـــر في صورة «مجموعة أعمال كاملة» كما حدث ذلك لأمثال جمال الدين الأفغاني، والشيخ مُحَمَّد عبده، والشيخ رفاعة الطهطاوي، وغيرهم[1].

وكان ممَّا شـــدَّني وبهرني من تـــراث الإمام البنَّا: رســـالته الفريدة المركزة الَّتي أرسى بها دعائم العمل الحركي الجماعي، وهي: «رسالة التعاليم» الَّتي وجَّهها إلى «الإخوان العاملين» من الإخوان المسلمين، وقال في مُقَدِّمتها: «أمَّا بعد، فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المســـلمين، الَّذين آمنوا بسُـــمُوِّ دعوتهم، وقدســـيَّة فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء

(١) منذ نحو سبعة عشـــر عامًا لقيت الأخ الأستاذ أحمد سيف الإسلام حســـن البنا في لندن، وحدثته عن ضرورة جمع تراث الإمام الشـــهيد، ونشـــره كله: رســـائل ومقالات وبيانات وأحاديث ثلاثاء إلخ، فبشرني بأنه يوشك أن يفرغ من هذا ويعده للنشر، وممَّا يؤسف له أن تمضي هذه المدة، وينقضي أكثر من أربعين عامًا على استشهاد الإمام البنا ولم يستطع ورثته ولا جماعته أن ينهضوا بهذا الواجب! إن تراث البنا ملك لأجيال الأمة جميعًا، فيجب نشره وتعميم النفع به.

QaradawiBooks.com

الإخوان فقط أوجِّه هذه الكلمات الموجَزة، وهي ليست «دروسًا تُحْفَظ» لكنَّها «تعليمات تُنَفَّذ».

أمَّا غير هـؤلاء، فلهـم دروسٌ ومحاضرات، وكتـبٌ ومقالات، ومظاهرُ وإداريَّات، ولكلٍّ وِجْهَة هو مُوَلِّيها، فاسـتبقوا الخيرات، وكلًّا وعد الله الحُسْنى».

اشتملت الرسـالة على «أركان عشرة» للعمل الإسـلامي المنشود، أطلق عليها عنـوان «أركان البيعة»، وذلك لأنَّ كلَّ من يريد أن ينتقل من «عضوٍ مُشْـتَرِك» إلى «عضوٍ عاملٍ» أو «أخٍ عامل» لا بدَّ له أن يُبَايِعَ قائد الدعوة أو مـن ينوب عنه على تحمُّـل تبعات هذه المرحلـة وأعبائها، وما توجبه على صاحبها من سمعٍ وطاعةٍ وكتمانٍ وجهادٍ وتضحيةٍ وعملٍ متواصلٍ وثباتٍ إلى النهاية.

وقد نُنَاقش معنى هذه البيعـة ومضمونها في مقام آخر، ولكن الَّذي يعنينا الآن من أركان البيعة العشرة هو: الركن الأوَّل «الفهم».

خلاصة مُرَكَّزة لقراءات مُطوَّلة:

ومن قرأ هـذه الأصول وتدبَّرهـا حقَّ التدبُّر، وكان لـه اطِّلاع على مصادر العلم والمعرفة الإسلاميَّة أيقن أنَّها تُمَثِّل خلاصة مُرَكَّزة لقراءات طويلة، ودراسـات عميقة في علوم القرآن والسُّـنَّة، والأصولَيْن: أصول الفقه، وأصول الدِّين، والفقه، والتصوُّف، مع عقليَّة هاضمة مُسْـتَوعِبة، قادرة على التأصيل والترجيح.

ولا غرو فقد كان التكوين العلمي لحسـن البنَّا تكوينًا متينًا راسخًا، وكان أوَّل رفقائه في مراحل دراسته المختلفة وفي دار العلوم، وكان قارئًا

QaradawiBooks.com

واعيًا للقديم والجديد، عالمًا بمذاهب العلماء السابقين من السلف والخلف، خبيرًا باتِّجاهات المُحْدَثِين والمعاصرين، وخصوصًا «مدرسة المنار» التجديديَّة، وكان البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ أقرب إلى فكر السيِّد رشيد رضا في انضباطه من فكر الإمام مُحَمَّد عبده في انطلاقه.

ومن أراد أن يعرف مقدار «الأصالة العِلميَّة» لحسن البنَّا فلْيَقْرأ الأعدادَ الخمسة الَّتي أصدرها من مَجَلَّة «الشِّهَاب» الَّتي رأس تحريرها بنفسه، والَّتي أراد بها أن يسُدَّ ما لمسه من قصورٍ وتقصيرٍ لدى أتباعه وجنوده في المجال العلمي والفكري، وقد انشغل هو بتأليف الرجال عن تأليف الكتب.

كان حسن البنَّا يُحَرِّر جملة من الأبواب بقلمه في المَجَلَّة، فهو يكتب في «العقيدة» بدءًا بعقيدة الألوهيَّة «الله»، ويكتب في «التفسير» بدءًا بسورة الفاتحة، ويكتب في «علوم الحديث» بدءًا بالرواية والإسناد، ويكتب في أصول الإسلام كنظام اجتماعي، وقد بدأ بالكتابة عن «السلام في الإسلام»، ويكتب في «التاريخ»، وهو في جميعها أصيلٌ ومجيد.

ولهذا عُني العلماء والدعاة من أبناء الحركة الإسلاميَّة برسالة التعاليم، وبركن الفهم، أو الأصول العشرين، مجتهدين في شرحها وتفسيرها.

وأوَّل من حاول ذلك هو العالم الفاضل والواعظ المُرَبِّي، الشيخ عبد المنعم أحمد تعيلب، وقد شرح الرسالة كُلَّها شرحًا موجزًا سريعًا، وقد قام جدالٌ في ذلك الوقت «أوائل الخمسينيَّات» بين قُطْبَيْن من أقطاب الدعوة حول هذا الشرح، وهما الأستاذان: البهي الخولي، وعبد العزيز كامل، فقد كان الأوَّل يرى ألَّا يُعْطَى الحقُّ لكلِّ واحد في

QaradawiBooks.com

شرح تراث البنَّا والتعليق عليه، وإنَّما ينبغي أن يكون ذلك بتكليفٍ من الجماعة، وإلَّا فسَّرها كلُّ امرئٍ بما شاء، مع أنَّ رسائل البنَّا تُمَثِّل المنهاج الرسـميَّ للإخوان المسـلمين، فلا يجوز أن يُتَهَاون فـي أمرها داخل الجماعة، وكان رأي الثاني أن هذه الاتِّجاه يفرض ديكتاتوريَّة فكريَّة على الجماعة وعلمائها، ويُكَبِّل حركة الفكر فيها، ويعطي لبعض أبنائها سلطة بابويَّة على بعض.

والواقـع أنَّ هذا الجـدل قد لفت نظـري إلى هذه الرسـالة، وإلى الاهتمام بركن «الفهم» أو بـ «الأصول العشرين» بصورةٍ خاصَّة، وتكوَّنت عندي رغبة للتَّصَدِّي لشـرح هذه الأصول شرحًا علميًّا مُوَثَّقًا مُفَصَّلًا في ضوء القواعد والعلوم الإسلاميَّة.

وعندما كُنَّا في السـجن الحربي في أيَّامنا الأخيرة سنة ١٩٥٦م حين فُكَّت عنَّا بعـض القيود، وأتيـح لبعضنا أن يجلس إلـى بعض، بدأت الحديث مع بعض الإخـوان حول هذه الأصول، وحثَّنـي الكثيرون أن أعمد إلى شرحها، إذا يسَّـر الله لنا الخروج من الأَسْـر، وهيَّأ الأسباب للكتابة.

وظلَّ هذا التوجُّه قائمًا في النفس، ولا سيَّما بعد أن أُعِرْتُ إلى قطرَ سنة ١٩٦١م، وبعد أن يئست من العودة القريبة إلى مصر منذ محنة ١٩٦٥م، وبعـد أن كتب إلـيَّ بعض الإخـوة الَّذين عرفـوا هـذا التوجُّه عندي يسـتحثُّونني على الكتابة في الموضوع، ومنهـم الأخ الصديق عبد الله العقيل مدير إدارة الشؤون الإسلاميَّة بالكويت عند ذاك.

وفي صيف سنة ١٩٦٦م التقيتُ بمجموعة من الإخوة في الأردن، في صورة مُخَيَّم بالمدرسة الإسلاميَّة بمدينة «إربد» في لقاء مطوَّل تحدَّثتُ

QaradawiBooks.com

معهم عن «الأصول العشـــرين» ودلالاتها النظريَّة والعمليَّة، وكان هذا ســـببًا في المزيد من التحريض لي على الوفاء بما وعدت به من شرح هذه الأصول.

وبالفعل كتبت فصولًا مُتَعَدِّدة في شـــرح بعض الأصول، ولكنَّها لم تكن مُرَتَّبة، وعندما عادت مَجَلَّة «الدعـــوة» القاهريَّة للظهور مرَّة أخرى بإشراف الأســـتاذ عمر التلمساني أوائل الســـبعينيَّات، شرعت أنشر فيها بعض ما كنت أعددتُه من شرح، مبتدئًا بالأصل الأوَّل الَّذي يتحدَّث عن «شمول الإســـلام» بوصفه نظامًا كاملًا للحياة، وبعد جملة أعدادٍ توقَّفت عن الاستمرار.

ومنذ ســـنوات ألحَّ عليَّ بعض الإخوة أن أُنَظِّم معهم جلســـات علميَّة هادئة، أشرح فيها هذه الأصول أصلًا أصلًا، وأتلقَّى الأسئلة حولها، على أن يُسَجَّل هذا الشرح في أشرطة كاسيت، وأن تُوَزَّع في نطاق محدود، إلى أن يُوَفِّق الله للشَّرْح المكتوب والمنشـــود، وتمَّ هذا الشرح مُسَجَّلًا في خمسةَ عَشَر شريطًا، عُنِي بعض الإخوان بنشـــرها في شتَّى القارات، وعلى نطاق أوسع ممَّا كنتُ أظنُّ، ونفع الله بها كثيرين في المشرق والمغرب[1]. وطلب إليَّ بعض الناشرين أن يُفَرِّغوها ويَنْشُروها على ما هي عليه، ولكنِّي رفضتُ ذلك، حتَّى لا يُثَبِّطُني ذلك عن إكمال الشرح التحريري المطلوب.

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة عدَّة شروح لهذه الأصول، أعتقد أن أهمَّها هو شرح شيخنا الشيخ مُحَمَّد الغزالي، الَّذي سمَّاه «دستور الوحدة

(١) رأيت بعض الإخوة الذين شرحوا الأصول العشرين أخيرًا، قد استفادوا من شرحي المسجل واقتبسوا منه، في العناوين والمضامين والأمثلة والأدلة، وأشار إلى ذلك بعضهم مشكورًا في بعض المواضع، ولم يشر آخرون، سامحهم الله.

QaradawiBooks.com

الثقافيَّة بين المسلمين»، وهو ما جعلني أتكاسل بعض الوقت عن إتمام كتابي، ثمَّ شرح الله صدري لاستكمال ما بدأتُ به؛ إذ لا مانع من تعدُّد الشروح، ولكلِّ شيخٍ طريقته كما يقولون، وكم رأينا لعلمائنا المُتَقَدِّمين من شـــروحٍ عدَّة لكتابٍ واحد، وقد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل.

وشـــرحي هذا يهتمُّ بالتأصيل والتفصيل والتدليل، ويُرَكِّز على شـــرح الأفكار، أكثر من التركيز على شرح الألفاظ، وبخاصَّة ما كان مجهولًا، أو غامضًا لدى بعض الناس، أو ينازع فيه منازعون، أو يُشَكِّك فيه مُشَكِّكون، أو يرتاب فيه مُتَـــرَدِّدون، مجتهدًا أن أرُدَّ الأمور إلـــى جذورها من علومنا الإســـلاميَّة الأصيلة، مُحْتَكِمًا إلى النصوص المُحْكَمة، والقواعد الضابطة للفهم والاســـتدلال، ولا ســـيَّما مثل علم أصول الفقه، وأصول التفســـير، وأصول الحديث، وما تفـــرَّق من الأحكام والمبـــادئ الهادية في مختلف المعارف والعلوم، ومستأنسًـــا بأقوال من الراســـخين من العلماء في شتَّى التخصُّصات، ومـــن شـــتَّى المذاهب، غيـــر مُتَعَصِّـــب لمدرســـةٍ مُعَيَّنة، ولا لمذهبٍ مُعَيَّن، مُسْتَمِدًّا العون والتوفيق من الله ﷻ، فقديمًا قال الشاعر:

إذا لم يكُنْ عونٌ مـــن الله للفَتَى فأوَّلُ ما يجني عليـــه اجتهادُه[1]!

هذا، ومن المقترحات الَّتي لقيت قبولًا عندي ما عرضه بعض الإخوة من نشر ما تتمُّ كتابته من شـــرحٍ هذه الأصول في صورة رسائل متتابعة، كلُّ رسالةٍ تتضمَّن أصلًا واحدًا أو أَصْلَيْن، ثمَّ ترتَّب بعد ذلك في كتاب من جزأَيْن أو عدَّة أجزاء.

(١) ينسب لســـيدنا علي بن أبي طالب، انظر: الفرج بعد الشدَّة للتنوخي (١/١٧٧)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

وها أنا أتوكَّل على الله عزَّ وجلَّ، وأصدر الرسالة الأولى عن الأصل الأوَّل داعيًا الله تعالى أن يُسَـدِّد خُطَانا، ويرزقنا التوفيق لإخراج سـائر الأصول، وأن يغفر لنا ما يزل به الفكر أو القلـم، وأن يُتِمَّ علينا النعمة بتحصيـل أجْرَيْ مـن اجتهد فأصـاب، ولا يحرمنا الأجـر إن اجتهدنا فأخطأنا، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الفقير إلى عفو مولاه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ذي القَعْدة ١٤١١هـ

مايو ١٩٩١م

* * *

نسخة مجانية

الأصول العشرون

يقول الإمام البنَّا: «أيُّها الإخوان الصادقون، أركان بيعتنا عشَرةٌ فاحفظوها:

الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرُّد، والأُخوَّة، والثقة.

أيُّها الأخ الصادق، إنَّما أريد بالفهم: أن توقن بأن فكرتنا «إسلاميَّة صميمة»، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كُلَّ الإيجاز:

١ ـ الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولةٌ ووطن، أو حكومةٌ وأُمَّة، وهو خُلُق وقُوَّة، أو رحمة وعدالة، وهو ثقافةٌ وقانون، أو علمٌ وقضاء، وهو مادَّةٌ وثروة، أو كسبٌ وغِنًى، وهو جهادٌ ودعوة، أو جيشٌ وفِكْرة، كما هو عقيدةٌ صادقةٌ وعبادةٌ صحيحةٌ سواء بسواء.

٢ ـ والقرآن الكريم والسُّنَّة المُطَهَّرة مرجعُ كلِّ مسلمٍ في تعرُّف أحكام الإسلام، ويُفْهَم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربيَّة من غير تكلُّفٍ ولا تعسُّفٍ، ويُرْجَع في فهم السُّنَّة المُطَهَّرة إلى رجال الحديث الثقات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ وللإيمـــان الصادق والعبادة الصحيحـــة والمجاهدة نورٌ وحلاوةٌ يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكنَّ الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليســـت من أدلَّة الأحكام الشـــرعيَّة، ولا تُعْتَبر إلَّا بشـــرط عدم اصطدامها بأحكام الدِّين ونصوصه.

٤ ـ والتمائم والرُّقَى والوَدَع والرمل والمعرفة والكهانة وادِّعاء معرفة الغيب، وكلُّ ما كان من هذا الباب؛ مُنْكَرٌ تجب محاربته، «إلَّا ما كان آيةٍ من قرآنٍ أو رُقْيَةٍ مأثورة».

٥ ـ ورأيُ الإمام ونائبه فيما لا نصَّ فيه، وفيما يحتملُ وجوهًا عِدَّة، وفي المصالح المرســـلة؛ معمولٌ به ما لم يصطدم بقاعدة شرعيَّة، وقد يتغيَّر بحسَب الظروف والعُرْف والعادات، والأصل في العبادات التعبُّد دون الالتفـــات إلـــى المعاني، وفي العاديـــات الالتفات إلى الأســـرار والحِكَم والمقاصد.

٦ ـ وكلُّ أحدٍ يؤخذ مـــن كلامه ويُتْـــرَكُ إلَّا المعصوم ﷺ، وكلُّ ما جاء عن الســـلف رضوان الله عليهم موافقًا للكتاب والسُّنَّة قبلناه، وإلَّا فكتـــاب الله وسُـــنَّة رســـولِه أولى بالاتِّبـــاع، ولكنَّـــا لا نَعْرِض للأشـــخاص فيما اختُلف فيه بطعنٍ أو تجريح، ونكلُهم إلى نيَّاتهم، وقد أفْضَوْا إلى ما قدَّموا.

٧ ـ ولكلِّ مُســـلمٍ لم يبلغْ درجة النظر في أدلَّـــة الأحكام الفرعيَّة أن يتبع إمامًا من أئمَّة الدِّين، ويحسُن به مع هذا الاتِّباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلَّته، وأن يتقبَّل كلَّ إرشادٍ مصحوبٍ بالدليل متى صحَّ عنده صلاح من أرشده وكفايته، وأن يســـتكمل نَقْصَه العلميَّ إن كان من أهل العلم حتَّى يبلغ درجة النظر.

QaradawiBooks.com

٨ ـ والخلاف الفقهيُّ في الفروع لا يكون سببًا للتفرُّق في الدِّين، ولا يُؤَدِّي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكلِّ مجتهدٍ أجره، ولا مانع من التحقيق العلميِّ النزيه في مسائل الخلاف في ظلِّ الحبِّ في الله، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يَجُرَّ ذلك إلى المِراءِ المذمومِ والتَّعَصُّب.

٩ ـ وكلُّ مسألةٍ لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها من التكلُّف الَّذي نُهِينا عنه شرعًا، ومن ذلك: كثرة التفريعات للأحكام الَّتي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنيَّة الكريمة الَّتي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكلٍّ منهم فضل صُحْبَتِه وجزاءُ نِيَّته، وفي التأوُّل مندوحة.

١٠ ـ معرفة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت، من غير تأويلٍ ولا تعطيلٍ، ولا نتعرَّض لما جاء فيها من خلافٍ بين العلماء؛ ويسعُنا ما وَسِعَ رسول الله ﷺ وأصحابه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

١١ ـ وكلُّ بدعةٍ في دين الله لا أصل لها استحسنها النَّاس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه؛ ضلالةٌ تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدِّي إلى ما هو شرٌّ منها.

١٢ ـ والبدعة الإضافيَّة والتَّرْكِيَّة والالتزام في العبادات المُطْلَقَة خلافٌ فقهي، لكلٍّ فيه رأيُه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

١٣ ـ ومحبَّة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قُرْبة إلى الله تعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣]، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعيَّة مع اعتقاد أنَّهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلًا عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم.

١٤ ـ وزيارة القبور أيًّا كانت سُنَّة مشروعة بالكيفيَّة المأثورة، ولكنَّ الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسُّح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأوَّل لهذه الأعمال سدًّا للذريعة.

١٥ ـ والدعاء إذا قُرِنَ بالتوسُّل إلى الله بأحدٍ من خلقه خلافٌ فرعيٌّ في كيفيَّة الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

١٦ ـ والعُرْف الخاطئ لا يُغَيِّر حقائق الألفاظ الشرعيَّة، بل يجب التأكُّد من حدود المعاني المقصود بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كلِّ نواحي الدُّنْيا والدِّين، فالعِبْرة بالمُسَمَّيات لا بالأسماء.

١٧ ـ والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهمُّ من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كِلَيْهما مطلوبٌ شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

١٨ ـ والإسلام يُحَرِّر العقل، ويحثُّ على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويُرَحِّب بالصالح النافع من كلِّ شيء، و«**الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها**»[(١)].

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وقال الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦): ضعيف جدًّا. عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

١٩ ـ وقد يتناول كلٌّ من النظرِ الشرعيِّ والنظر العقليِّ ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنَّهما لن يختلفا في القطعيِّ، فلن تصطدم حقيقةٌ علميَّة صحيحةٌ بقاعدةٍ شرعيَّةٍ ثابتة، ويُؤَوَّل الظَّنِّيُّ منهما ليتَّفق مع القطعيِّ، فإن كانا ظنيَّيْن فالنظر الشرعيُّ أولى بالاتِّباع حتَّى يثبت العقلي أو ينهار.

٢٠ ـ لا نُكَفِّر مسلمًا أقرَّ بالشهادتَيْن وعمل بمقتضاهما وأدَّى الفرائض ـ برأيٍ أو معصية ـ إلَّا إن أقرَّ بكلمة الكفـر، أو أنكر معلومًا من الدِّين بالضرورة، أو كذَّب صريحَ القرآن، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربيَّة بحالٍ، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر.

وإذا علم الأخ المسلم «دينه» في هذه الأصول فقد عرف معنى هتافه دائمًا: «القرآن دستورنا، والرسول قدوتنا»[1] اهـ.

حسن البنَّا

* * *

(١) رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا صـ ٣٥٦ ـ ٣٥٩، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

لماذا قدَّم الإمام البنَّا ركن «الفهم»؟

قبل أن أبدأ في شـــرح الأصول أجيب عن بعض الأسئلة الَّتي تدور بخَلَدِ بعض النَّاس.

فقد يَعِنُّ للقارئ هنا ســـؤال، وهو: لماذا جعل الإمام البنَّا الفهم هو الركن الأوَّل، وقدَّمه على غيره من الأركان الأخرى، كالإخلاص والعمل والتضحية والجهاد والثبات؟

والواقع أنَّ البنَّا رضي الله عنه كان مُوَفَّقًا كل التوفيق في هذا التقديم، ولا غرو، فقد كان الرجل بصيرًا بـ «فقه الأولويَّات»، وتقديم ما يستحقُّ التقديم.

فممَّا لا ريب فيه أنَّ الفكرة تســـبق الحركـــة، وأنَّ التصوُّر الصحيح مُقَدِّمة ضروريَّة للتوجُّـــه الصحيح والعمل المســـتقيم، ولهذا كان العلم عندنا ـ نحن المســـلمين ـ يســـبق العمل، بل العلم عندنا دليل الإيمان، وطريق الاعتقاد السليم.

والإمام الغزالـــي وغيره من الصوفيَّـــة الكبار يـــرون أنَّ مقامات الدِّين والتخلُّق بأخلاقِ النبيِّين والصِّدِّيقين لا يتـــمُّ إلَّا بمعجونٍ مركب من ثلاثة أشياء: عِلْم، وحال، وعمل، فالعلم يورث الحال، والحال يدفع إلى العمل[1].

(١) إحياء علوم الدين (٨١/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو يشـبه ما يقوله علماء النفس عـن الإدراك والانفعال والنزوع، وهي ثلاثة يُفْضي بعضها إلى بعض، بمعنى أنَّ الإنسـان يعرف ويدرك، فيتأثَّر وينفعل رغبًا أو رهبًا، فينزع ويريد إيجابًا أو سلبًا.

وهذا الترتيب واضحٌ في القرآن الكريم.

يقـول الله تعالـى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

والعطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب، أي: إنَّ العلم يترتَّب عليه الإيمان، والإيمان يترتَّـب عليه الإخبات، فهم إذا علمـوا آمنوا، وإذا آمنوا أخبتوا.

ويقـول تعالـى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

فقدم الأمر بالعلم ﴿فَٱعْلَمْ﴾ على الأمر بالعمل وهو الاستغفار.

قال الإمام البخاري في كتاب العلم: «باب العلم قبل القول والعمل»؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ الآية، فبدأ بالعلم، قال الشُّرَّاح: أراد أنَّ العلم شـرطٌ في صحَّة القول والعمل، فلا يعتبـران إلَّا به، فهو مُتَقَدِّم عليهما؛ لأنَّه مُصَحِّح للنِّيَّة المُصَحِّحة للعمل، فنبَّه المصنف على ذلك، حتَّى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: «إنَّ العلم لا ينفع إلَّا بالعمل» تهوينٌ أمر العلم والتساهل في طلبه[1].

والخطاب في الآية وإن كان للنبيِّ ﷺ فهو مُتناوِلٌ لأمَّتِه بلا نزاع.

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٦٠/١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

وأخطر ما يصيب الإنسان أن تلتبس عليه الأمور، فيرى الباطل حقًّا، والحقَّ باطلًا، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، وأن يُزَيَّن له سوء عمله فيراه حسنًا، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ...﴾ [فاطر: ٨].

ولهذا كان من الأدعية المأثورة: «**اللهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقْنا اتِّباعه، وأرِنَا الباطل باطلًا وارزُقْنا اجتنابَه**».

وجاء في بعض الأحاديث التحذير من زمن يصبح فيه المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وهذا كلُّه من قلَّة العلم.

ولهذا لم يخلُ كتابٌ من كتب الحديث المُصَنَّفة على الأبواب من إفراد كتاب للعلم، كما في الصحيحين والسنن، وغيرها «كالمستدرك ومجمع الزوائد».

وكان أوَّل كتاب من كتب «إحياء علوم الدين» الأربعين هو كتاب العلم.

وأوَّل عقبة يجب أن يقطعها السالك في طريقه إلى الله هي «عقبة العلم»، كما في كتاب «منهاج العابدين» للغزالي أيضًا.

ولقد حذر الربَّانيُّون من أئمَّة السلف ﷺ من الإقبال على التعبُّد، قبل التزوُّد من العلم، فقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: «العامل على غير علم يفسد أكثر ممَّا يصلح»[1].

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٣٢)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وقال الإمام الحسن البصري: «العامل على غير علمٍ كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علمٍ ما يُفْسِـدُ أكثرُ ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضرُّ بالعلم، فإنَّ قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتَّى خرجوا بأسـيافهم علـى أُمَّة مُحَمَّد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يَدُلَّهم على ما فعلوا»[(١)].

يعني بهؤلاء: الخوارج الَّذين اسـتحلُّوا دماء الأُمَّة وأموالها، وكَفَّروا النَّاس بالجملة، برغم أنَّهم كانوا صُوَّامًا قُوَّامًا قُرَّاءً للقرآن، كما وصفهم الحديث: «**يَحْقِرُ أحدُكـم صلاتَه إلى صلاتهم، وصيامَـه إلى صيامهم، وقراءتَه إلـى قراءتهم**»، ولكنَّ آفتهـم أنَّهم: «**يقرؤون القـرآن لا يُجاوِزُ حناجرهم**»، أي: أنَّهم لم يتعمَّقوا في فهمه فانتهـى بهم الأمر إلى أنَّهم «**يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان**»[(٢)]!

ومن هنا كان لا بدَّ من العلم قبل العمل، كما قال معاذٌ رضي الله عنه: «العلمُ إمامُ العمل، والعمل تابعه»[(٣)].

ولذا قال ﷺ وقد ذكر له رجلان: أحدُهما عابد، والآخر عالم: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[(٤)].

إنَّ العلم الشرعي فريضة وضرورة للإنسان المسلم، حتَّى قال بعض السلف: إنَّ حاجة المرء إلى العلم أشدُّ من حاجته إلى الطعام والشراب،

---

(١) جامع بيان العلم (٥٤٥/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسـلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٦٨).

(٤) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥)، وقال: حديث حسـن صحيح غريب. والطبراني (٢٣٤/٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٣٨)، عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

وهذا صحيح؛ لأنَّه إذا فقد الطعام والشـراب هلك بدنه، وإذا فقد العلم هلك رُوحه، وأين من خسـر الحيـاة الفانية ممَّن خسـر الحياة الأبدية الباقية؟!

وضرورة الإنسان المسلم للعلم تتمثَّل فيما يلي:

١ ـ فهو الوسيلة الفذَّة لتمييز الحقِّ من الباطل في العقائد، والصواب من الخطأ في الأفكار، وذلك بما يضعه من أصولٍ وضوابط، لاسـتقامة الفهم، وصحَّة الاستدلال.

٢ ـ وهو الوسـيلة الفـذَّة لتمييز المشـروع من غير المشـروع في الأعمـال، أي: تمييـز الحلال مـن الحرام فـي الأشـياء والتصرُّفات، والمسـنون من المُبتدَع في القُربات والعبادات، والحسن من القبيح في الأخلاق والسلوك، وهو الَّذي يضع القواعد والأطر الضابطة لذلك كله.

٣ ـ وهو الوسـيلة الفذَّة لإعطاء الأعمال والتكاليف مراتبها الشرعيَّة الصحيحة، ففـي المأمورات يقول: هذا مسـتحب، أو واجب أو فرض، وهو فرض عين، أو فرض كفاية، وهو فرض عادي أو فرض مؤكد، مثل: أركان الإسـلام... وفي المنهيات يقول: هو مكروه، أو مشـتبه فيه، أو حرام، وفي الحرام: هو صغيرة أو كبيرة، أو من أكبر الكبائر.

٤ ـ ثمَّ هو الوسـيلة الفذَّة للحكم العادل على الأفراد والجماعات، وتقويم المواقف والأحداث تقويمًا سـليمًا، بعيدًا عن الشطط والهوى، وعن الإفراط والتفريط.

لماذا عبَّر الأستاذ بـ «الفهم» بدل «العلم»؟

وإنَّما عبَّر الأسـتاذ البنَّا عن «العلم» بـ «الفهم» لأنَّـه المقصود من

QaradawiBooks.com

العلم، فليس العلم بكثرة الرواية بقدر ما هـو عُمْق الدراية، ولهذا عَلَّق القرآن والسُّنَّة الخير «بالتفقُّه في الدين» لا بمجرد «تعلُّم الدين».

يقـول تعالـى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ويقول الرسول ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين**»[(١)]، والفقه أخصُّ من العلم، فهو يعني الفهـم، بل الفهم الدقيق، الَّـذي يَنْفُذ إلى اللباب، ولا يكتفي بالقشور، وهو الَّذي يُنِير العقل، ويُحْيِي القلب[(٢)].

صحَّة الفهم من أعظم النعم:

يقول العلَّامة ابن القَيِّم في شـرح ما جاء في كتاب عمر في القضاء عند قوله: «الفَهْمَ الفَهْمَ فيما أُدْلِيَ إليك»: «صحَّة الفهم وحسن القصد من أعظم نعـم الله الَّتي أنعم بها علـى عبده، بل ما أعطي عبـد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسـلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الَّذين فسـد قصدهم، وطريق الضالِّين الَّذين فسدت فهومهم، ويصير من المُنْعَم عليهم الَّذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الَّذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كلِّ صلاة، وصحَّـة الفهم نورٌ يقذفه الله في قلب العبـد، يُمَيِّز بـه بين الصحيـح والفاسـد، والحقِّ والباطـل، والهدى والضلال، والغيِّ والرَّشاد، ويمدُّه حُسنُ القصد، وتُحَرِّي الحق، وتقوى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) بين الإمام الغزالي في كتاب العلم: أن كلمة «الفقـه» من الكلمات التي بدلت معانيها عما تدل عليه في القرآن والسُّنَّة، وعما كان يفهمه منها الصحابة وسلف الأمة. انظر: إحياء علوم الدين (٣١/١، ٣٢).

QaradawiBooks.com

الربِّ في السِّرِّ والعلانية، ويقطع مادَّته اتِّباع الهوى، وإيثار الدُّنْيا، وطلب محمدة الخَلْق، وترك التقوى»[١].

وقد روى الإمام البخاري في «صحيحه»، عن عليٍّ رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنَّه سُئل: هل خصَّكم رسولُ الله ﷺ بشيء؟ قال: «لا، إلَّا فهمًا يؤتاه عبدٌ في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة». وأخرج صحيفة فيها بعض الأحكام[٢].

فالفهمَ عن الله ورسوله من أعظم النعم.

وشرُّ ما يُصاب به إنسانٌ عدم الفهم عن الله ورسوله.

وشرٌّ منه أن يفهم عن الله ورسوله عكس ما يريدانه، فيُحَرِّف الكَلِم عن مواضعه، وهذه أسوأ الآفات.

لماذا نُعْنَى بشرح هذه الأصول؟

وسؤال آخر قد يعرض لبعض الناس، بل قالوه.

قالوا: لِمَ كُلُّ هذه العناية بهذه الأصول؟ وهل هي من كلام الله تعالى، أو من كلام رسوله ﷺ، حتَّى تتناولوه بالشروح والتفسير والتحليل؟

وبعبارة أخرى: هل تعتبرون إمامكم من أهل العِصْمة؟!

هل كان حسن البنَّا معصومًا؟

لا والله، لم يدَّع ذلك يومًا، ولم يَدَّعِه له أحدٌ من أصحابه وتلاميذه، برغم فرط حُبِّهم له، وإعجابهم به، وثنائهم عليه.

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٦٩/١)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٧)، ومسلم في الحج (١٣٧٠).

QaradawiBooks.com

كيف وهو الَّذي جعل أحد أصوله العشرين: أنَّ كُلَّ واحدٍ يؤخذ من كلامه ويترك، إلَّا النبيَّ ﷺ (الأصل السادس)؟

فلماذا إذن نُعنى بكلامه ونشـرحه؟ حتَّى قال بعض الناس: هل هو قرآن أو حديث حتَّى تشرحوه؟!

وقائل هذا قليل البضاعة من العلم بالدِّيـن والتُّراث والحياة، فليس القرآن وحده هو الَّذي يُفَسَّـر، ولا الحديث وحده هو الَّذي يشرح، فكم من كتبٍ أَلَّفها بشـرٌ غير معصومين، كُتِبَت عليها الشُّـروح المختصرة، والوسـيطة، والمُطَوَّلة، وكُتِبَتْ على الشـروح حواشٍ، وعلى الحواشي تقريرات وإفادات.

وهذا في كل العلوم: الدِّينيَّة، وغير الدِّينيَّة.

في علم العقيدة نجد: شرح «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة، وشرح «العقيدة الطحاويَّة»، وشـرح «العقيدة الواسِطيَّة»، وشـرح «السُّنُوسيَّة»، و«العقائد النسفيَّة»، و«الجوهرة»، وغيرها.

وكُنَّا ـ ونحن طلبة في كلية أصول الديـن بالأزهر ـ ندرس «العقائد النَّسَفيَّة»، وعليها شـرح للعلَّامة سـعد الدين التفتازاني، وعلى الشرح ثلاث حواشٍ، لكلٍّ من: الخيالي، والعصام الإسـفرايِيني، وعبد الحكيم السيالكوتي.

وفي الفقـه: عرفت المتون الشـهيرة في المذاهب، مثـل: «الكنز»، و«الهداية» عند الحنفية، و«الرسـالة» و«مختصر خليـل» عند المالكيَّة، و«المنهاج» و«أبي شجاع» عند الشافعية، و«الإقناع» و«المنتهى» و«الزاد» عند الحنابلة، وكلُّها حظيت بشُروح مُتَعَدِّدة، مُخْتَصَرَة ومُطَوَّلة ومتوسِّطة.

QaradawiBooks.com

وفي الأصول: عُرِفَتْ «ورقات» إمام الحرمين، و«منهاج» البيضاوي، و«مُسَلَّم الثبوت»، و«مختصر» ابن الحاجب، و«توضيح» صدر الشريعة، وغيرها.

وفي علوم الحديث: عرفت «مُقَدِّمة» ابن الصلاح وشروحها، و«تقريب» النواوي، و«نخبة» ابن حجر، إلخ.

وفي التصوَّف: عرفت «حكم» ابن عطاء وشروحها، بل وضع العلَّامة الزَّبِيدي شرحًا على «إحياء علوم الدين» على سعته.

وفي اللغة وعلومها من النحو والصرف والبلاغة نجد متونًا وشروحًا وحواشيَ معروفة للدارسين، حتَّى إنَّ العلَّامة المرتضى الزَّبِيدي شرح «القاموس» شرحه الضخم المعروف «تاج العروس».

فلا غرابة ـ إذن ـ في شرح هذه الأصول الَّتي وضعها حسن البنَّا؛ لتكون أساسًا لوحدة الفهم عند العاملين للإسلام، وحرص على أن تكون موجَزة كُلَّ الإيجاز، مُرَكَّزة كلَّ التركيز، بحيث يسهل هضمها وحفظها، فهي أشبه بـ «المتون» في علم الفقه وغيره من العلوم الإسلاميَّة، والمتون دائمًا تحتاج إلى شروح تُوَضِّح مَرَاميَها، وتُكمل ما سكتت عنه، وتستدلُّ لما ذكرته من أحكامٍ وقضايا.

لمن كتب حسن البنَّا هذه الأصول:

وسؤال ثالث قد يسأل هنا، وهو: لمن كتب حسن البنَّا هذه الأصول العشرين؟ ومن هو المَعْنِيُّ بخطابه هنا من أصناف الناس؟

ومن الواضح أنَّه خاطب بهذه الأصول صنفين:

الأوَّل: الإخوان العاملين أو المجاهدين من جماعة «الإخوان

QaradawiBooks.com

المسـلمين»، فمن المعلـوم أنَّ «الإخـوان» هيئة عامَّـة، قامت لتجديد الإسلام في عقول المسلمين ونفوسهم وحياتهم: اعتقادًا، وفكرًا، وخلقًا، وسلوكًا. وقد ضمَّت في صفوفها ألوانًا مختلفة من الناس، منهم السَّلَفي، ومنهم الصُّوفي، منهم المُتَمَسِّك بمذهبه، ومنهم لا يرى التَّمَذْهُب، منهم المحافظ الميَّال إلى القديم، ومنهـم المُتَحَرِّر الميَّال إلى الجديد، منهم المثقَّف بالثقافة الشرعيَّة، ومنهم المثقَّف بالثقافة المدنيَّة، إلخ.

وهذه الأمزجة والاتِّجاهات المختلفة تحتاج إلى «قواسـم مشتركة» في الفكر، تجمع بينها، على اختلاف نزعاتها، وتوحد مفاهيمها الأساسيَّة في القضايا الكُلِّيَّة، والمسائل الدِّينيَّة الكبرى، وإن بقي بعض الاختلاف في الفرعيَّات والتفصيلات الَّتي يتعذَّر أن يتَّفق النَّاس عليها.

الصنف الثانـي: يتمثل في الجماعات والفئـات الدِّينيَّة المختلفة، الَّتي كانت تضمُّها الساحة المصريَّة، يوم كتب الإمام البنَّا هذه الأصول، وهي شـبيهةٌ إلى حدٍّ كبير بما نحن عليه اليوم، وقديمًا قال الشـاعر العربي: ما أشـبه الليلة بالبارحة! وقال من قال من الغربيِّين: التاريخ يُعيد نفسه!

ومهما اختلف النَّاس في صدق هـذه المقولة، فإنَّ ممَّا لا يجحد أنَّ كثيرًا من المواقف والأوضاع قد تتكرَّر أو تتشابه إلى حدٍّ بعيد.

أجل، كانت عين حسن البنَّا ﷺ وهو يكتب هذه الأصول العشرين ـ مركَّزة على الجماعات الدِّينيَّة المختلـف بعضها مع بعض، الَّتي تتبادل التجريح والاتِّهام، إلى حدِّ التفسيق، بل التكفير.

وقد رأى ذلك بعَيْنَيْ رأسِه، ولمس آثاره براحَتَيْه، فمنذ بزغ فجر دعوته بمدينة الإسـماعيليَّة حيـث الجماعات الدِّينيَّـة ذات الاتِّجاه

QaradawiBooks.com

السَّـلَفي أو السُّـنِّي تُمَثِّل اتِّجاهًا، وهي فيما بينها تتراشق التُّهَم، ثمَّ الجماعات الصوفيَّة بطُرُقها ومشايخها وأتباعها وشاراتها تُمَثِّل اتِّجاهًا آخر، معاديًا ومناقضًا للاتِّجـاه الأوَّل، وبينهما حرب جدليَّة لا يخمد أُوارها.

ثم هنـاك العلمـاء والوعَّـاظ والخطبـاء الَّذين لا ينتمـون لأحد المعسـكرين، والذين لا يعجبون أولئك ولا هـؤلاء، ولا يعجبهم أيضًا أولئك ولا هؤلاء.

كان هذا ما رآه ولمسـه حسن البنَّا في الإسـماعيليَّة، ثمَّ ما رآه بعد ذلك في القاهرة ـ بصورة أكبر ـ بين الاتِّجاهات الدِّينيَّة المختلفة.

ولما كان الرجل مشـغول الفكر والقلب بتوحيد الأُمَّة المسلمة الَّتي فرقتها الخلافات من كل جانب، حتَّى قاتل بعضها بعضا في أيام الحرب العالَمِيَّة الأولى، وقد سـقطت آخر راية كانت تجمع أُمَّة الإسلام تحت ظلِّ العقيدة، وهي راية الخلافة سـنة ١٩٢٤م، وبـرزت النزعات القوميَّة والوطنيَّة، بديلًا للوَحْدة الإسلاميَّة، والقوميَّة الإسلاميَّة.

لهذا كان من المهم ـ بـل من الضروري ـ توحيـد الجبهة الداخليَّة الإسـلاميَّة بكل وسـيلة ممكنة: جبهة الداعين إلى الإسلام، والرافعين لشعاراته المُتَنَوِّعة، والعمل على تضييق دائرة الخلافات الدِّينيَّة والفِكْريَّة بينهم، وجمعهم على «الحدِّ الأدنى» من الأصول والمفاهيم الإسـلاميَّة الَّتي تُوَحِّد ولا تُفَرِّق، وتُقَرِّب ولا تباعد.

وحين أنشـئ اتِّحاد للجماعات الدِّينيَّـة في مصر ـ أو حيـن أُرِيدَ إنشاؤه ـ تقدَّم الشـهيد بهذه الأصول المُرَكَّزة؛ لتكون محورًا تلتقي عليه هذه الجماعات المختلفة.

QaradawiBooks.com

من مزايا هذه الأصول:

ومن هنا نلاحظ في هذه الأصول عدَّة أمور:

أوَّلًا: أنَّها تتَّجه غالبًا إلى المسـائل الَّتي تختلف فيها وجهات النظر، بين المدارس الدِّينيَّة قديمًا وحديثًا، كالخلاف بين السلف والخلف من المُتَكَلِّمين، والخلاف بين الاتِّجاه الصُّوفي والاتِّجاه السَّلَفي، والخلاف بين أنصار التقليد المذهبيِّ و«اللامذهبيِّين»...

ثانيًا: أنَّهـا مصوغة بحكمةٍ واعتدال، بحيث يمكـن أن يلتقي عليها العقلاء من أتباع هذه المـدارس، إذا توافر القدر الضـروري من الفهم والإخلاص والتسامح.

ثالثًا: أنَّه قصد فيها إلى التركيز والإيجاز، لا إلى الشـرح والتفصيل؛ لأنَّ التوسُّع والتفصيل في هذه الأمور يتيح فرصة أكبر للخلاف، وتعدُّد الآراء وتضاربها وهو عكس المقصود.

رابعًا: أنَّها لم تُعْنَ كثيرًا بالتوجُّه إلى العِلْمانيِّين، والمُثَقَّفين ثقافة غربيَّة، ولو كان ذلك من قصدها واهتمامها لأضافت إلى هذه الأصول أصولًا أخرى.

ولهذا حين أردتُ أن أقدم معالم الإسلام لهؤلاء في كتابي «الإسلام والعِلمانيَّة وجهًا لوجه» ذكرت عشـرين معلمًا، أو أصلًا، ذات مضمون آخر، ووجهة أخرى[1]، وأعتقد أنَّه لو كان الإمام الشهيد مكاني لفعل مثل ما فعلتُ، ولكلِّ مقامٍ مقال.

وأودُّ أن أقول كلمة هنا عن اتِّجاه التوحيـد والتجميع والتوفيق بين المختلفين الَّذي تميَّزت به صياغة الإمام الشهيد لهذه الأصول.

(١) انظر كتابنا: الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه صـ ٢٧ ـ ٤١، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

اتِّجاه التجميع والتوفيق:

ولا ريب أنَّ الاتِّجاه التوحيدي والتوفيقـــي في هذه الأصول واضحٌ كلَّ الوضوح، وحينما بدأت أكتب في شرح هذه الأصول ـ وعلى الأصحِّ أنشر بعض ما كان عندي من شـــرحها، عندما بدأت مَجَلَّة «الدعوة» في الظهور في أوائل الســـبعينيَّات بإشـــراف المرشـــد الثالث الأستاذ عمر التلمساني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ جعلت لها عنوانًا أساسيًّا ثابتًا، هو: «نحو وحدةٍ فكريَّة إسلاميَّة»، ومن توفيق الله لنا أن شيخنا الغزالي حفظه الله ومدَّ في عمره في خدمة الإسلام لحظ هذا الملحظ نفسه، فسمَّى كتابه الَّذي شرح فيه هذه الأصول العشرين «دستور الوحدة الثقافيَّة بين المسلمين».

وقد كان التكوين العقلي والنفســـي لحســـن البنَّا يتَّجـــه إلى البناء لا الهدم، وإلى الجمع لا التفريق.

وهذا هو الســـرُّ في أنَّ الإمام حسن البنَّا لم يفصل في بعض الأمور، وتركها لكلِّ فريقٍ يرى فيها رأيه، حسَـــبما يلوح له مـــن الأدلَّة، كما في موضوع «التوسل» بالنبي ﷺ أو بالصالحين.

فبعد أن أكد ضرورة أن يكون المدعو والمتوســـل إليه هو الله تعالى ذكر أن قضيَّة التوســـل «بجاه النبي ونحوه» تدخل في مســـائل «الفروع العمليَّة» الَّتي يبحث فيها علم «الفقه»، وليســـت من «الأصول العقائديَّة» الَّتي يبحث فيها علم «التوحيد»؛ لأنَّها تتعلَّق بالخلاف في كيفيَّة الدعاء، فتخرج بذلك من العقيدة إلى العمل.

وبعض المتحمســـين لوجهةٍ معيَّنة يَعِيبون على الشـــيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لم يحســـم في هذا الأمر برأيٍ قاطع، وذلك لأنَّهم ينظـــرون من زاويةٍ غير زاويته، ويسعَوْن إلى هدف غير هدفه، ويسلكون سبلًا غير سبيله.

QaradawiBooks.com

فالرجل يريد أن يجمـع الأُمَّة على الأهداف الكبرى، وأن يحشـد صفوفها ـ على اختلاف وجهاتها ـ في مقابلة القوى المعادية للإسـلام جهرًا، والمُتَرَبِّصة به سـرًّا، ويحرص على أن تتناسى الخلافات الجزئيَّة فيما بينها لتقف أمام أعدائها صفًّا كأنَّهم بنيانٌ مرصوص.

وليس معنى هذا أنْ يتنازل عن أساسيَّات الإسلام، فهذا غير وارد في هذا المَقام بحال من الأحوال.

ولهذا أنكر ادِّعاء الكشـف والإلهـام والـرؤى، واعتبارها مصدرًا للأحكام والسلوك، وأنكر الخرافات والشركيَّات المتعلِّقة بالتمائم والرُّقَى والكهانة وزيارة القبور والغلوِّ في الأولياء والكرامات ونحوها.

كما أنكر الابتداع في الدِّين، وشرْع ما لم يأذن به الله إلخ، ودعا إلى التمسُّـك بالكتاب والسُّـنَّة، والرجوع إليهما في معرفة أحكام الإسلام.

فالتجميع والتوفيق الَّذي حرص عليه الإمام البنَّا إنَّما هو في الأمور الَّتي تتعدد فيها الاجتهـادات وتختلف فيها وجهات النظر، فلا بأس من تركها دون حسم.

وهذا هو شـأن الراسـخين من أهل العلم، الَّذين كثيرًا ما يُسـألون فيقولون: لا ندري، أو يذكرون أقـوال أهل العلم قبلهم واختلافهم فيها، ولا يرجحون قولًا على قول.

وقد روى هذا عن الإمام الشافعي ﷺ في عددٍ من المسائل، وعقَّب على ذلك الإمام الـرازي في «المحصول» فقال: «هـذا يدلُّ على كمال منصبه في العلم والدِّين.

QaradawiBooks.com

أمَّا العلـــم، فلأنَّ كلَّ مـــن كان أغوص نظـــرًا، وأدقَّ فكرًا، وأكثر إحاطة بالأصـــول والفروع، وأتـــمَّ وقوفًا على شـــرائط الأدلَّة، كانت الإشكالات عنده أكثر.

أمَّا المصرُّ على الوجه الواحد طولَ عمره في المباحث الظَّنِّيَّة بحيث لا يتردَّد فيه، فذلك لا يكون إلَّا من جمـــود الطبع، وقلَّة الفطنة، وكلال القريحة، وعدم الوقوف على شرائط الأدلَّة والاعتراضات.

وأمَّا الدين، فمن وَجْهَيْن:

الأوَّل: أنَّه لمَّا لم يظهر له فيه وجه الرجحان: لم يستحِ من الاعتراف بعدم العلم، ولم يشـــتغلْ بالترويج والمداهنة، بل صرَّح بعجزه عمَّا هو عاجز فيه، وذلك لا يصدر إلَّا عن الدِّين المتين.

كيف وقـــد نُقِلَ عن عمـــر ﷺ اعترافه بعـــدم العلم، فـــي كثيرٍ من المســـائل[1]، وجميع المســـلمين عَدُّوا ذلك من مناقبه وفضائله، فكيف جعلوه عيبًا هاهنا؟!

والثاني: وهو أنَّه ﷺ لم يقُلِ ابتداء: «إنِّي لا أعرف هذه المســـألة»، بل وجد المســـألة واقعة بين أصلَيْن، فذكر وجهَ وقوعها بينهما، وكيفيَّة اشـــتباهها بهما، ثمَّ لَمَّا لم يظهـــر له الرجحان تركها علـــى تلك الحالة ليكون ذلك بعثًـــا له على الفكر بعد ذلك، وحثًّـــا لغيره من المجتهدين على طلب الترجيح.

---

(١) نحو هذا روي عن سيدنا عمر ﷺ في مواضع كثيرة، منها ما يتعلق بميراث الجد، والكلالة، وبعض أبواب الربا، وقد أخرج ذلك عنه رواه البخاري في الأشـــربة (٥٥٨٨)، ومسلم في التفسير (٣٠٣٢)، وانظر: سنن البيهقي (٢٨٩/٨).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا هو اللائق بالدِّين المتين، والعقل الرَّصِين، والعلم الكامل، بل من أنصف واعترف بالحقِّ: علم أنَّ ذلك ممَّا يـدلُّ على رُجْحان حاله، على حال سائر المجتهدين: في العِلْم والدِّين»[1].

وما لاحظه الإمام البنَّا منذ نحو نصف قرن ـ من الحاجة إلى التجميع والتوفيق ـ لا زلنا نلاحظُه إلى اليوم.

ففـي البلاد الَّتـي زُرْتها داخل العالم الإسـلامي، وفـي الجاليات والتجمُّعات الإسـلاميَّة الَّتي التقيتُ بها خارج العالم الإسـلامي، وفي المؤتمرات والندوات الَّتي شـاركت فيها في أقطار شـتَّى في المشرق والمغرب ـ كان هناك سـؤالٌ مُشْـتَرَك يتكرَّر ويُلِحُّ ويضغط علينا نحن الداعين للإسلام، والمنتمين إلى الجماعات والحركات الإسلاميَّة.

هذا السؤال يقول: لماذا يظلُّ الخلاف قائمًا بين الجماعات الإسلاميَّة؟ ولماذا لا تتوحَّد كلُّها في جماعةٍ أو حركة إسلاميَّة عالميَّة كبرى بدل هذه الجماعات المتفرِّقة المتناثرة؟! إنَّ الاتِّحاد يُقَوِّي القِلَّة، والاختلاف يُضْعِف الكثرة، ولماذا الاختلاف بينها؟ أليست كلها تعمل لنصرة الإسلام وإقامة دولة الإسلام؟! أوليس الإسـلام هدف الجميع، ومنطلق الجميع؟ فلماذا يتفرقون ولا يجتمعون؟ ولماذا يختلفون ولا يتوحدون؟

وكم تمنَّى دعاةٌ مخلصون أن تقوم في عصرنا حركة إسلاميَّة عالميَّة واحدة، تضمُّ كلَّ الحركات، وتسـتوعب كلَّ الطاقات، فتكون أقدر على التصدِّي لتكتُّـلاتِ القوى المعادية، ومؤامـرات الصهيونيَّة، والصليبيَّة، والشيوعيَّة، والوثنيَّة، الَّتي قد تختلف فيما بينها وتتَّفق علينا.

(١) المحصول في علم أصول الفقه للإمام فخر الدين الرازي (٥/٣٩٤ ـ ٣٩٦)، تحقيق طه جابر العلواني، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وممَّا لا يخفى على دارسٍ أنَّ هناك عقباتٍ جمَّة تقف في سبيل هذه الوحدة المرغوبة، فالوَحْدة تقتضي الاتِّفاق على الأهداف، وعلى ترتيبها.

ثُمَّ على المناهج والوسائل الَّتي تتَّخذ لتحقيق الأهداف المنشودة.

ثُمَّ على القيادة والثقة بإخلاصها، وكفايتها، وقدرتها على استخدام تلك الوسائل لتحقيق تلك الأهداف.

وهذا ليس من اليسير أن يتوافر إلَّا داخل الجماعة الواحدة.

ولهذا أرى أنَّ الحلم بالحركة الَّتي تستوعب كلَّ الحركات، أو الجماعة الَّتي تضمُّ كلَّ الجماعة ـ حلم جميل، ولكنَّه ـ بمنطق الواقع ـ بعيد التحقيق.

واعتقادي الَّذي سجلته في أكثر من كتاب: أنَّه ليس من الضروري توحيد الجماعات الإسلاميَّة، وصبُّها في قالبٍ واحد، بل يكفي التقريب بينها، وإزالة أسباب التنافر والتناكر بين بعضها وبعض، والعمل على أن يكون بينها قدر من التنسيق والتفاهم والتعاون، بحيث يكمل بعضها بعضًا، وبحيث تقف في القضايا الكبيرة جبهة واحدة، كالبنيان المرصوص، وبهذا يكون اختلافها اختلافَ تنوُّع وثراء، لا اختلاف تناقضٍ وصراع.

وممَّا يُعِين على هذا التقارب والتفاهم والتعاون ما ذكرناه من ضرورة توفير «حدٍّ أدنى» من «المفاهيم المشتركة» الَّتي تجمع بين المتفرقين، وتقارب بين المتباعدين، وتُوَثِّق الصلة بين المتقاربين، وهذا ما يمكن أن تُؤَدِّيه هذه الأصول إلى حدٍّ كبير.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأصل الأول

الإسلام نظام حياة شامل

ما أحوج الدعوة الإسلاميَّة في أيَّامنا إلى توضيح مفاهيمها الأصليَّة للناس عامَّة ولأنصارها خاصَّة، حتَّى لا يفهمها أحدٌ على غير وجهها، أو يحرفها عن حقيقتها، أو يحاسبها على غير ما تدعو إليه، أو ينحرف عنها لأمر يعتقد نسبتها إليه وهي منه براء.

لهذا نحاول أن نعرض بالشرح والتحليل لـ «الأصول العشرين» الَّتي جعلها الإمام الشهيد حسن البنَّا أساسًا لوحدة الفهم عند جنود الحركة الإسلاميَّة، والَّتي نهج فيها منهج الوسطيَّة والتوازن، الَّذي لا يغلو مع الغالِّين، ولا يقصر مع المُقَصِّرين، ومن هنا حاول أن يصوغ هذه الأصول صياغة تتَّسم بالحكمة والاعتدال، وأراد بها أن تكون «محورًا» يلتقي عليه أبناء الجماعات الدِّينيَّة المختلفة الَّتي تنتسب كلها إلى الإسلام، ولكنَّها تختلف فيما بينها على فهم بعض النقاط في الأصول أو الفروع، اختلافًا قد يَجُرُّها إلى الخصام والتناحر والتنابز بالألقاب.

وربَّما كان منشأ هذا الخلاف فَقْدَ «الميزان» الَّذي يحتكمون إليه، وعدم تحديد المصدر الَّذي يستمدُّون منه المعرفة والحكم، أو الغلوَّ في تقدير بعض الأمور على حساب أمور أخرى، أو اللَّدَد في الخصومة وسوء الظنِّ بالآخرين، أو عدم دقَّة التعبير في المسائل ذات الوجهين أو الوجوه المتعدِّدة.

QaradawiBooks.com

لا نعجب إذا رأينا في مصر مثلًا: جماعات «أنصار السُّنَّة المُحَمَّديَّة» و«الجمعيَّة الشرعيَّة» و«شباب سيِّدنا مُحَمَّد» و«جمعيَّة الشُّبَّان المسلمين» وجماعات «الطرق الصوفيَّة» وغير ذلك، وليس بينهم جميعًا إلَّا التراشق بالتهم، وادِّعاء كلٌّ منهم أنَّه على الحقِّ وحده، وأنَّ غيره على الباطل، بل ربَّما امتدَّ هذا التراشق إلى حدِّ تكفير بعضهم بعضًا.

موقف التجمعات الدِّينيَّة في مصر عند ظهور دعوة البنا:

وكان بين هذه الجماعات كلها عيب مشترك، هو اهتمام كل واحدة منها بناحية معينة من رسالة الإسلام، والتركيز عليها، وإهمال النواحي الأخرى، أو إسقاطها من الحساب، وربَّما عابت الَّذين يشتغلون بها ويُوَجِّهون عنايتهم إليها.

فجماعة «أنصار السُّنَّة المُحَمَّديَّة» تهتمُّ بأمر «العقيدة» وتصفيتها من شوائب الشِّرْكِ الأكبر والأصغر، ومحاربة المبتدعة الَّذين يسمُّونهم «القبوريِّين» ممَّن يُقَدِّسون «الأولياء» ويطوفون بـ «الأضرحة» وشنِّ الغارة على الَّذين يُؤَوِّلون آيات الصفات وأحاديث الصفات، كالجمعيَّة الشرعيَّة وغيرها، وأكبر عدوٍّ لأنصار السُّنَّة هو «المُتَصَوِّفة» المُحْدَثُون منهم والأقدمون، المعتدلون والمُتَطَرِّفون، النظريُّون والعمليُّون.

و«الجمعيَّة الشرعيَّة» تُعْنى بالعبادة، وبخاصَّة الصلاة علمًا وعملًا، وتهتمُّ بأدائها على ما جاءت به السُّنَّة، وتحارب الابتداع في ذلك وُسْعَها، وتنشئ مساجد خاصَّة بها، ولكنَّها تتبنَّى ـ مثل معظم علماء الأزهر ـ مذهب الأشاعرة في تأويل آيات الصفات وأحاديثها، ولهذا شبَّت الحرب بينها وبين أنصار السُّنَّة، وكان لها لهيبٌ واستعارٌ دام سنوات طوالًا.

QaradawiBooks.com

و«جمعيَّة الشُّـبَّان المسـلمين» مَعْنِيَّة بالجانـب الثقافي، فهي تدعو لإلقاء المحاضرات، وعقد الندوات، كما تهتمُّ بالنشاط الرياضي، الَّذي جذب إليها بعض الشباب.

و«شباب سيِّدنا محمد» عُنُوا بموضوع السفور والاختلاط، وما يتعلَّق بالمرأة المسـلمة، وجعلوا ذلك شـغلهم الشـاغل، ووقفوا ضدَّ تيارات التحلُّل والإباحيَّة، وتبنَّوا أكثر الأقوال تشـدُّدًا فـي كلِّ ما يتعلَّق بالمرأة والأسـرة، ولا سـيَّما ما يتعلَّق بلقاء الرجل بالمـرأة، وموضوع اللباس والزينة، وأنكروا على كلِّ من قال بإباحة كشـف الوجه والكَفَّين. وكان النشاط في هذا الميدان هو أكبرَ همِّهم وغايةَ سَعْيِهم.

وأمَّا «الطرق الصوفيَّة»، فبعـض رجالها مخلصون صادقون، وبعض منهم مُقَلِّدون جاهلون، وآخرون دجَّالون مرتزقون... وحتَّى المخلصون الصادقون منهم عاشوا في زاوية ضيِّقة من زوايا الصرح الإسلامي الكبير. وكلُّ ما يُهِمُّهم هو الجانـب الروحي التعبدي الفـردي، أو الاجتماعي المحدود بحدود الطريقـة، وإن لم يخل ذلك كله ـ عند كثير منهم ـ من الابتداع في العبادات، والانحراف في العقيدة، والسلبية في الأخلاق.

هذا هو موقـف الجماعات الدِّينيَّة، وهذا ما كان يشـغلها من قضايا جزئيَّة، عند ظهور دعوة الأستاذ البنَّا.

أمَّا أمر الإسلام باعتباره شريعة ونظام حياة وأمر المسلمين باعتبارهم أُمَّة واحدة.

أمَّا غلبـة القوانين الوضعيَّة على شـريعة الإسـلام، وغلبة الأفكار الأجنبيَّة في فكرة الإسلام، وغلبة الإباحيَّة الغربيَّة على تقاليد الإسلام، وغلبة الاستعمار الصليبي على ديار الإسلام وأُمَّة الإسلام.

QaradawiBooks.com

أمَّا الشريعة الَّتي أهملت، والحدود الَّتي عُطِّلَت، والأمة الَّتي مُزِّقت، والخلافة الَّتي حُطِّمت، والدِّين الَّذي عزل عن توجيه الحياة وقيادة المجتمع...

أمَّا هذا كلُّه، فلم تشغل هذه الجماعات أنفسها به ـ على خطورته وأهميَّته ـ إلَّا بصورة ضئيلة، وفي أحيان ومناسبات نادرة، نتيجة لوجود بعض الأشخاص الأيقاظ الواعين الَّذين لم تكن تخلو من عدد منهم جماعة من هذه الجماعات.

كانت جلُّ هذه الجماعات الدِّينيَّة ـ برغم نيَّاتها الطيِّبة، وجهودها المشكورة ـ مع الإسلام أشبه بالعميان الَّذين صادفوا فيلًا، فأمسك كلُّ واحد منهم بجزءٍ منه ظنَّه هو الفيل، فلمَّا سئلوا عن وصف الفيل قال أحدهم: إنَّه عظم مدبَّب أملس؛ لأنَّه لم يمسك إلَّا بنابه. وقال الثاني: بل هو جسم ضخم مفرطح؛ لأنَّه قد أمسك ببطنه. وقال ثالث: بل هو عمود أسطواني قائم؛ لأنَّه كان قد أمسك برجله. وقال رابع قولا آخر؛ لأنَّه أمسك بذيله. وقال خامس غير ما قاله الأربعة؛ لأنَّه أمسك بخرطومه، وكل واحد من هؤلاء لم يصف الفيل، وإن قال حقًّا في نفسه؛ لأنَّه وصف ما عرفه منه فحسب، ولو عرف الفيل كله كما خلقه الله وكما يعرفه أهل البصر لغير رأيه، وعدل قوله ووصفه.

وكذلك كان هؤلاء ظنَّ بعضهم أنَّ الإسلام في العقيدة وحدها، وآخر في العبادة أولًا، وثالث في الحشمة والعفاف قبل كل شيء، ورابع في طهارة القلب... وكل واحد من هذه الأمور صحيح، ولكنَّه ليس كل الإسلام، إنَّما هو جانب واحد منه.

QaradawiBooks.com

ولا مانع شرعًا ولا عقلًا من أن تهتمَّ جماعة من الجماعات الإسلاميَّة بجانب واحدٍ من الإسلام، تتخصَّص فيه، وتُرَكِّز عليه نشاطها وجهودها، ويكون الاختلاف بين بعضها وبعض اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضادٍّ[1]، إنَّما الممنوع أن تنكر النظرة الشـاملة للإسـلام، وأن تعتقد وتشيع أنَّ الجانب الَّـذي تُعْنى به هو الإسـلام وحده، وأن تنكـر على الآخرين جهودهم في الميادين الأخرى، وألَّا نتعاون معهم في القضايا الكبرى.

موقف الأحزاب السياسيَّة:

وإلى جوار هذه الجماعات والفرق الدِّينيَّة، كانت هناك جماعات من نوع آخر، جماعات سياسية هي الَّتي تسمى «الأحزاب»، كان يغلب على هذه الأحزاب ـ بصفة عامَّة ـ «الوطنيَّة العِلمانيَّة»، فقد سـبقت «الوطنيَّة» ظهور «القوميَّة»، وخصوصًا في مصر، وإن لـم تخلُ هذه الأحزاب من رجال متديِّنين في خاصَّة أنفسـهم وسلوكهم الشخصي؛ إذ لم تكن هذه الأحزاب عقائديَّة بالمعنى الَّذي عرف بـه بعض الأحزاب بعد ذلك في بلاد عربيَّة أخرى غير مصر.

وكان معظم قادة الأحزاب من الرجال الَّذين تثقفوا ثقافة أجنبيَّة عن طريق البعثات إلى أوربا، أو عن طريق المدارس الأجنبيَّة والتبشيريَّة في أوطانهم نفسـها، أو عن طريق المنهج المسـموم الَّذي وضعه «دنلوب» وأمثاله من المُبَشِّرين وأعوان المستعمرين المسيطرين على أزمة التعليم والتوجيه... وكانت فكرة هؤلاء عن الإسـلام صـورة مطابقة من فكرة

(١) عرضت لتوضيح فكرة «اختلاف التنوع والتخصص» بين الجماعات الإسلامية في أكثر من كتاب لي، راجع كتابينا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، نشر دار الشروق، القاهرة، وأين الخلل، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الأوربيين عن المسيحيَّة، فهو مجرد علاقة بين المرء وربه، أي: هو دين «لاهوتي» محض، لا علاقة له بنظام الدولة ولا بشؤون الحياة والسياسة والحكم، فهـذه تخضع لتطور الزمن، وتجارب الفكر الإنسـاني، الَّذي يضيف كل يوم جديدًا إلى تراث الحضارة وحياة الإنسان.

كما أنَّ الفكرة السـائدة لدى جمهور المثقَّفيـن بالثقافة الحديثة: أنَّ الدين والعلم طريقان متقابلان لا يلتقيـان، وأنَّ الأُمَّة الناهضة الَّتي تريد التقدُّم بحقٍّ هي الَّتي تسـلك سبيل العلم، وتنشـئ عليه أبناءها، وتقيم بناءها، وتدع الدِّين في رُكْنٍ قَصِيٍّ من حياتها[1]، إن كان لا بدَّ من بقائه!

مقاومة التجزئة المصطنعة لدعوة الإسلام:

هذا هو الإطار الَّذي وضع فيه الإسـلام، وهذا هو الفهم السـائد له حين ظهور دعوة الإخوان المسلمين، وكان على مؤسِّس الدعوة رَحِمَهُ اللَّهُ أن يواجه هذا الفهم القاصر لرسـالة الإسـلام، وأن يبـرز الجانب الثقافي والاجتماعي والسياسي والجهادي منه.

وأن يقاوم هذه التجزئة المصطنعة لدعوته الشـاملة، هذه التجزئة الَّتي تريد أن تجعل الإسلام «نصرانيَّة» أخرى تتَّخذ اسم الإسلام، وهو منها براء.

لهذا أكَّد الإمام الشـهيد هذا المعنـى وكرَّره في رسـائله ومقالاته وأحاديثه ومحاضراته: معنى «شمول الإسـلام» كما شرعه الله ورسوله، وتميَّز بذلك عن سـائر الجماعات الأخرى حتَّى سَـمَّى ذلك «إسـلام الإخوان المسلمين»، كما في رسالة «المؤتمر الخامس».

---

(١) رددنا علـى هذا الفهم الخاطـئ ردًّا علميًّا في كتابنا: بيّنات الحل الإسـلامي صـ ١٥ ـ ٦٨ فليرجع إليه، فصل: الدين في عصر العلم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

ولا غـرو أن كان الأصل الأوَّل من الأصول العشـرين في رسـالة «التعاليم» ـ الَّتي وضعها حسـن البنَّا ليوضح فيهـا أركان الدعوة ـ يُقَرِّر ذلك بجلاءٍ ووضوحٍ فيقول: «الإسلام نظامٌ شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولـةٌ ووطن، أو حكومةٌ وأُمَّة، وهو خلـقٌ وقوَّة، أو رحمةٌ وعدالة، وهو ثقافة وقانون، أو علمٌ وقضاء، وهو مادَّة وثروة، أو كسـبٌ وغنى، وهو جهادٌ ودعوة، أو جيشٌ وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء»[1].

اهتمَّت دعوة الإخوان المسـلمين بالتركيز على الجوانب الإسلاميَّة الَّتي أغفلت عمدًا أو جهلًا من رسـالة الإسـلام، مثـل: الدولة والأُمَّة والجهاد، والاقتصـاد والثقافة والقانـون، وما إلى ذلـك، بعد أن بذل الاسـتعمار جهوده الجبَّارة وأنفق ملايين طائلة، وربَّى تلاميذ مُخلِصين لأفكاره، يعملون بـكلِّ ما أوتوا لتجريد الإسـلام مـن معنى «الحكم والدولة» كما فعل علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، وكما طبَّق ذلك كمـال أتاتورك في تركيا، وتجريده مـن معنى «الجهاد والقوة» كما دعا إلى ذلك غلام أحمد القادياني في الهند، ومن تبعه من صنائع الإنجليز، فقد كان كل هم «القادياني» أن يثبت دعويين كبيرتين:

إحداهما: طاعة ولي الأمر، ولو كان كافرًا.

والثانية: إبطال الجهاد في سبيل الله.

ولا يسـتفيد من هاتين الدعوَيَيْن أحدٌ إلَّا الاسـتعمار المتسلِّط على ديار المسلمين، المُتَحَكِّم في رقابهم، والمستلبُ لخيراتهم.

(١) رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائل الإمام صـ ٣٥٦.

QaradawiBooks.com

لماذا تبنَّى الإمام البنَّا فكرة الشمول؟

ولم يكن للإمـــام البنَّا وجماعته خيارٌ في تبنِّي هذا الشـــمول لمعنى الإسلام لأسبابٍ ثلاثة:

الأوَّل: شمول تعاليم الإسلام:

أنَّ الإسلام الَّذي شـــرعه الله لم يدع جانبًا من الحياة دون آخر، فهو بطبيعته شـــامل لكلِّ نواحي الحياة، ماديَّة ورُوحِيَّـــة، فرديَّة واجتماعيَّة، حتَّى إنَّ أطول آية في كتاب الله أنزلت في شأن من شؤون الدُّنْيا هو كتابة «الديـــون»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢] الآية.

والقـــرآن الَّذي يقـــول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴾ [البقرة: ١٨٣] هو نفســـه الَّذي يقول في نفس السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ [البقـــرة: ١٧٨]، وهـــو الَّذي يقـــول فيها: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ويقول في ذات الســـورة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقـــرة: ٢١٦] عبَّر القرآن عن فرضيَّة هذه الأمور كلُّها بعبارةٍ واحدة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾.

فهذه الأمور كُلُّها ممَّـــا كتبه الله على المؤمنيـــن، أي: فرضه عليهم: الصيام من الأمور التعبديَّة، والقصاص فـــي القوانين الجنائيَّة، والوصيَّة فيما يُسَمَّى «الأحوال الشخصيَّة»، والقتال في العلاقات الدوليَّة.

وكلُّها تكاليف شـــرعيَّة يتعبَّد بتنفيذها المؤمنون، ويتقربُّون بها إلى

QaradawiBooks.com

الله، فلا يتصوُّر من مسلم قبول فرضيَّة الصيام، ورفض فرضيَّة القِصاص أو الوصيَّة أو القتال.

إنَّ الشريعة الإسلاميَّة حاكمة على جميع أفعال المُكَلَّفين، فلا يخلو فعلٌ ولا واقعة من الوقائع إلَّا ولها فيها حكم من الأحكام الشرعيَّة الخمسة، كما قرَّر ذلك الأصوليُّون والفقهاء من كلِّ الطوائف والمذاهب المنتسبة إلى الملَّة.

وقد دلَّ على هذا الشمول القرآن والسُّنَّة، فقد قال تعالى مُخَاطِبًا رسولُه ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ ما ترك أمرًا يُقَرِّبنا من الله إلَّا وأمرنا به، ولا ترك أمرًا يبعدنا عن الله إلَّا نهانا عنه، حتَّى تركنا على المحجَّة البيضاء: «**ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك**»[(١)].

فالإسلام هو رسالة الحياة كلها، ورسالة الإنسان كله، كما أنَّه رسالة العالم كله، ورسالة الزمن كله[(٢)].

الثاني: الإسلام يرفض تجزئة أحكامه وتعاليمه:

أنَّ الإسلام نفسه يرفض تجزئة أحكامه وتعاليمه وأخذ بعضها دون بعض.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. وابن ماجه في المقدمة (٤٣)، والحاكم في العلم (٩٦/١)، عن العرباض بن سارية.

(٢) انظر كتابينا: الخصائص العامة للإسلام صـ ١٠٥ ـ ١٢٤، خصيصة: الشمول، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، والصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي صـ ٦٦ ـ ٩١، الفَهم الشمولي للإسلام والتحذير من تجزئة الإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وقد اشتدَّ القرآن في إنكار هذا المسلك على بني إسرائيل، فقال تعالى في خطابهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

ولمَّا أحب بعض اليهود أن يدخلوا في الإسلام بشرط أن يحتفظوا ببعض الشرائع اليهودية مثل: تحريم يوم السبت، أبى الرسول عليهم ذلك، إلَّا أن يدخلوا في شرائع الإسلام كافة.

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨][(١)].

وخاطب الله سبحانه رسوله ﷺ فقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

فهنا يُحَذِّر الله رسوله من غير المؤمنين أن يصرفوه عن بعض أحكام الإسلام، وهو خطاب لكلِّ من يقوم بأمر الأُمَّة من بعده.

والحقيقة أن تعاليم الإسلام وأحكامه في العقيدة والشريعة والأخلاق والعبادات والمعاملات لا تؤتي أكلها إلَّا إذا أخذت متكاملة، فإن بعضها لازم لبعض، وهي أشبه «بوصفة طبيَّة» كاملة مكونة من غذاء متكامل، ودواء متنوع، وحميَّة وامتناع من بعض الأشياء، وممارسة لبعض

(١) يقول ابن كثير في تفسير الآية: «يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك». تفسير ابن كثير (٥٦٥/١)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

التمرينات، فلكي تحقق هذه الوصفة هدفها لا بدَّ من تنفيذها جميعًا، فإن ترك جزء منها قد يؤثِّر في النتيجة كلها.

الثالث: الحياة وَحْدَة لا تتجزَّأ ولا تنقسم:

أنَّ الحياة نفسها وحدة لا تنقسم، وكلٌّ لا يتجزَّأ.

ولا يمكن أن تصلح الحياة إذا تولَّى الإسـلام جزءًا منها كالمساجد والزوايا يحكمها ويوجهها، وتركت جوانب الحياة الأخرى لمذاهب وضعيَّة، وأفكار بشريَّة، وفلسفات أرضيَّة، توجِّهُها وتقودها.

لا يمكن أن يكون للإسلام المسجد، ويكون للعِلمانيَّة المدرسة والجامعة والمحكمة والإذاعة والتلفاز والصحافة والمسرح والسينما، والسوق والشارع، وبعبارة أخرى: الحياة كلها!

كما لا يمكن أن يصلح الإنسان إذا كان توجيه الجانب الرُّوحي له من اختصاص جهة كالدِّين، والجانب المادِّي والعقلي له من اختصاص جهة أخرى كالدولة اللادينيَّة.

فالواقع أن لا مثنويَّة في الإنسان، ولا في الحياة، فليس فيه ولا فيها انقسام ولا انفصال.

إنَّه هو الإنسان برُوحه ومادَّته، فلا فصل ولا تفريق، كما يُؤَيِّد ذلك العلم الحديث نفسه، وكذلك الحياة.

إنَّ الإنسان لا ينقسم، والحياة أيضًا لا تنقسم.

وكل الفلسفات والمذاهب الثوريَّة أو «الإيديولوجيَّات» الانقلابيَّة في التاريخ وفي عصرنا ذات طابع كُلِّي شمولي، ولهذا ترفض تجزئة الحياة،

QaradawiBooks.com

وتأبى أن تسيطر على جزءٍ منها دون جزء، بل لا بدَّ أن تقودها كلُّها، وتوجهها جميعًا وفقًا لفلسفتها، ونظرتها الكُلِّيَّة للوجود وللمعرفة وللقيم، ولله والإنسان والتاريخ.

يقول أحد الاشتراكيِّين العرب المعروفين[١] في تبرير هذا الاتِّجاه: «إن فهم الاشتراكيَّة على أنَّها نظام اقتصادي فحسب هو فهم خاطئ، فالاشتراكيَّة تُقَدِّم حلولًا اقتصادية لمسائلَ كثيرة، ولكنَّ هذه الحلول جميعًا ليست إلَّا ناحية واحدة من نواحي الاشتراكيَّة، وفهمها على أساس هذه الناحية الواحدة فهم خاطئ لا ينفذ إلى الأعماق، ولا يتعرَّف إلى الأسس الَّتي تقوم عليها الاشتراكيَّة، ولا يتطلَّع إلى الآمال البعيدة الَّتي تذهب إليها الاشتراكيَّة».

«... فالاشتراكيَّة مذهب للحياة، لا مذهب للاقتصاد، مذهب يمتدُّ إلى الاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم والاجتماع والصحَّة والأخلاق والأدب والعلم والتاريخ، وإلى كل أوجه الحياة كبيرها وصغيرها.

وأن تكون اشتراكيًّا يعني أن يكون لك فهم اشتراكي لكل هذا الَّذي ذكرت، وأن يكون لك كفاح اشتراكي يضم كل هذا الَّذي ذكرت».

ثم يؤكد الكاتب أن هذه النظرة الشاملة ليست مقصورة على الاشتراكيَّة، وإنَّما هي الأساس في المذاهب الاجتماعيَّة الأخرى.

ولقد برر الكاتب شمول المذاهب الاجتماعيَّة، واتساع نطاقها بحيث تتسع إلى كل المجالات، وأن تضع الحلول لكلِّ المشكلات بأنَّ

(١) هو الدكتور منيف الرزاز، الذي انتخب زمنًا ما أمينًا عامًّا لحزب البعث الاشتراكي العربي في كتاب: دراسات في الاشتراكية، الذي صدر عام ١٩٦٠م، ويحمل مقالات لعدد من قادة «البعث».

QaradawiBooks.com

«... سبب هذه النظرة الشاملة ـ أنَّ الحياة نفسها شيء واحد، تيار واحد، لا يعرف هذا التقسيم الَّذي يخترعه عقلنا، لكي يسهل على نفسه إدراك حقائق الحياة، ثمَّ ينسى أنَّه هو نفسه الَّذي قام بهذا التقسيم، ويظن أنَّ الحياة كانت مقسمة هكذا منذ الأزل.

فالحياة لا تعرف شيئًا اسمه الاقتصاد، منفصلًا عن شيء اسمه الاجتماع، وشيء آخر اسمه السياسة.

الحياة شيءٌ متكاملٌ مُتَّصل، ولكنَّ عقلنا العاجز المغرم بالتحليل والدرس لن يتمكَّن من القيام بهذا التحليل والدرس، إذا واجه الحياة ككل قائم بذاته، فهو مضطر إلى أن يقسم الحياة إلى أوجه، وإلى ألوان، وإلى أنواع من العلاقات، فيسمي بعضها اقتصادًا، ويسمي بعضها الآخر سياسة، وبعضها اجتماعًا، وأخلاقًا، ودينًا، وتاريخًا، وأدبًا، وعلمًا، إلى آخر هذه السلسلة إن كان لها آخر.

الحياة كالنهر، شيء واحد متَّصلٌ مستمرٌّ، وكذلك حياة أي مجتمع، كبير أو صغير ـ أُمَّة أو أسرة، حكومة أو حزب.

فموقف أي مجتمع إزاء الحُرِّيَّات السياسيَّة يُقَرِّر موقفه من الاقتصاد، وموقفه من النظم الاقتصاديَّة يُقَرِّر موقفه من الحُرِّيَّات السياسيَّة، وكذلك من الاستعمار ومن الأخلاق، ومن التعليم، ومن الأدب، ومن التاريخ، إلى آخر هذه السلسلة الَّتي لا تنتهي».

ويخلص الكاتب من ذلك إلى تأكيد الصفة الشاملة للاشتراكيَّة فيقول: «... بهذا المعنى تصبح كلمة الاشتراكيَّة إذن كلمة لا تقتصر على التعبير عن حالة اقتصادية معينة فحسب، بل هي تعبير عن نوع من الحياة بأكملها بجميع وجوهها» اهـ.

QaradawiBooks.com

هذه هي طبيعة الأيديولوجيات الانقلابية كلها، فلماذا يراد للإسلام وحده ـ وهو بطبيعته رسالة شاملة: عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا، وحضارة ـ أن يقصر رسالته على المساجد والمحاكم الشرعيَّة؟!

ولعلَّه لو رضي بذلك ما تركوه يستقلُّ بهذه المساجد يُوَجِّهها كما يريد، ولا تلك المحاكم يقضي فيها بما يشاء[1].

إنَّ المسيحيَّة الَّتي يقول إنجيلها: «دعْ ما لقيصَرَ لقَيْصَرَ، وما لله لله» حين وجدت الفرصة والقوة لم يسعها أن تدع شيئًا لقيصر، ولم تستطع إلَّا أن تسود، وتوجه الحياة كلها الوجهة الَّتي تؤمن بها، مثل كل الأيديولوجيات الدِّينيَّة والعِلمانيَّة قديمًا وحديثًا.

فإذا كان هذا شأن المسيحيَّة، فكيف بالإسلام الَّذي يأبى أن يقسم الإنسان بين مادَّة وروح منفصلتين، أو يقسم الحياة بين الله وقيصر، وإنَّما يجعل قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد؟!

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

جوانب أساسيَّة في الإسلام الشامل:

أشار الإمام البنَّا في الأصل الأوَّل من أصوله العشرين إلى عدة جوانب، اعتبرها أساسيَّة في الإسلام الشامل كما يفهمه، وكما يؤمن به.

(١) في عدد من بلاد المسلمين اعتدت الحكومات العلمانية على الجزء الباقي لهم من التشريع، وهو المتعلق بالأسرة أو ما سمي «الأحوال الشخصية»، كما أنَّ المسجد لم يعد حرًّا في أن يقول كلمة الإسلام كما يشاء، بل كما تشاء السلطة!

QaradawiBooks.com

من هذه الجوانب:

١ ـ الجانب السياســي: وهو ما عبَّر عنه بقوله: «فهو دولةٌ ووطنٌ، أو حكومةٌ وأُمَّة».

٢ ـ الجانب الأخلاقيّ: وهو ما عبَّر عنــه بقوله: «وهو خلقٌ وقوَّة، أو رحمةٌ وعدالة».

٣ ـ الجانب الثقافي أو العلمي.

٤ ـ وكذلك القانوني أو القضائي.

وهما ما عبر عنهما بقوله: «وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء».

٥ ـ وكذلك الاقتصادي أو المادِّي: وهو ما عبَّر عنه بقوله: «وهو مادَّةٌ وثروة، أو كسبٌ وغِنًى».

٦ ـ الجانب الجهادي.

٧ ـ وكذلك الجانب الدعوي.

وهما ما عبَّر عنهما بقوله: «هو جهادٌ ودعوة، أو جيشٌ وفكرة».

٨، ٩ ـ وهذا إلى الجانبَيْن الأساسيَّين في كلِّ دين، وهو ما عبَّر عنهما بقوله: «كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة، سواء بسواء».

وهذه الجوانب كلُّها واضحة تمام الوضوح في ذهن الأســتاذ البنَّا، وهي من الثبــوت لديه، والرســوخ في عقلــه وقلبه، بحيــث تعد من اليقينيَّات أو البديهيَّات الدِّينيَّة، والأدلَّة عليها من الكتاب والسُّنَّة وهَدْي السَّلَف وأقوال الأئمَّة أكثر من أن تحصر.

ولهذا ظلَّ يُؤَكِّدُها كلَّ التأكيد في كلِّ مناسبة، ليتعلَّم الجاهل، ويتنبَّه الغافل، ويتذكَّر الناسي، ويتثبَّت المرتاب، ويزداد الَّذين آمنوا إيمانًا.

QaradawiBooks.com

أكدها في بياناته ومؤتمراته العامَّة، وفي لقاءاته وجلساته الخاصة، وفي دروسه ومحاضراته، وفي رسائله ومقالاته.

وما نشر من رسائل البنَّا أبين برهان على ما نقول.

نقرأ ذلك في رسالة المؤتمر الخامس (وقد انعقد سنة ١٣٥٧هـ) الَّذي تحدث فيها عن «إسلام الإخوان المسلمين» بشموله وتكامله[١]، مبينًا شمول الفكرة، وشمول الحركة أيضًا، وتنوع أنشطتها الَّتي استوعبت كل جوانب الحياة تقريبًا.

وفي مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين الَّذي انعقد في نفس السَّنَة وقد تحدَّث فيه عن الإسلام الشامل، وعن الدين والسياسة، داخليَّة أو خارجيَّة، وعن سَعَة التشريع الإسلامي.

وفي رسالة «نحو النور» الَّذي بعث بها إلى الملك فاروق وإلى رئيس حكومة مصر، وإلى عدد من الملوك والرؤساء والشخصيَّات البارزة في العالم الإسلامي (وذلك في سنة ١٣٦٦هـ) مُبَيِّنًا فيها: أنَّ الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بكلِّ ما تحتاج إليه.

وفي رسالة «مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي» وهي في الأصل مقالات كتبها في جريدة «الإخوان المسلمون» اليوميَّة، موجَّهة إلى المسؤولين، ورجال الهيئات الرسميَّة والنيابيَّة والشعبيَّة والاجتماعيَّة ومُوَجِّهي الجماهير.

ولن أتعرض هنا لشرح الجوانب التسعة ـ أو على الأقلِّ السبعة الأوَّل المقصودة بالذكر ـ في الأصل الأوَّل؛ لأنَّ شرحها يعني شرح الإسلام كلَّه.

---

(١) انظر: نصّ كلام الإمام الشهيد في الملحق آخر الكتاب.

QaradawiBooks.com

وحسْبي هنا أن أُرَكِّز على جانبين على غاية من الأهميَّة، ركَّز عليهما الشهيد البنَّا؛ لمَّا رأى جهلَ كثيرٍ من مسلمي عصره بهما، وغفلتهم عنهما.

هذان الجانبان هما: الدولة والجهاد، أو الجانب السياسي والجانب الجهادي، ومكانهما من الإسلام.

فلنخصَّ كلًّا منهما بحديثٍ، على قدر ما يتَّسع المقام.

مكانة الدولة من الإسلام:

«الإسلام دولة ووطن، أو حكومة وأُمَّة» هذا أوَّل ما أكَّده حسن البنَّا في بيان فكرة الشمول.

إنَّ إعلان هذه الحقيقة وتأكيد هذه القضية: «أنَّ الإسلام دولة ووطن، كما هو عقيدة وعبادة» كان إحدى السمات البارزة الَّتي تميَّزت بها الدعوة الإسلاميَّة منذ ظهورها، أكَّد الشـهيد البنَّا هذا المعنى في جميع رسائله، وكتاباته ومحاضراته، وكان لهذا التأكيد أسبابه ـ كما ذكرنا من قبل.

فقد استطاع الاستعمار الصليبي الَّذي حكم بلاد المسلمين أن يغرس في أفكار الكثيرين من أبناء المسـلمين فكرة غريبة خبيثـة مؤدَّاها: أنَّ الإسلام دينٌ لا دولة: «دين» بالمفهوم الغربي لكلمة «الدِّين»، أمَّا شؤون الدولة فلا صلة له بهـا، وإنَّما ينظمها العقل الإنسـاني وفقًـا لتجاربه وظروفه المتطوِّرة!

لقد أرادوا أن يُطَبِّقوا على الإسلام في الشرق ما طُبِّق على المسيحيَّة في الغرب، فكما أنَّ النهضـة هناك لم تتمَّ إلَّا بعد التحرُّر من سـلطان الدِّين، فكذلك يجب أن تقوم النهضة في شـرقنا العربي الإسلامي على أنقاض الدين!

QaradawiBooks.com

مع أنَّ الدين هناك معناه الكنيسة وسلطة البابا، واستبداد رجال الكهنوت بالضمائر والأرواح، فأين هذا من الدِّين هنا، وليس فيه بابا ولا كهنوت ولا استبداد بالضمائر والأرواح[1]؟!

على كلِّ حال، لقد نجح الاستعمار في خلق فئات تؤمن أنَّ الدِّين لا مكان له في توجيه الدولة وتنظيمها، وأنَّ الدِّين شيءٌ والسياسة شيء آخر، وأنَّ هذا يجري على الإسلام كما جرى على المسيحيَّة، وكان من الشعارات المضلِّلة الَّتي شاعت أن «الدين لله والوطن للجميع»، وهي كلمة حقٍّ يُراد بها باطل، ويمكن أن تُقْلب على كل الوجوه، فنستطيع أن نقول: إنَّ الدين لله والوطن لله، أو: الدين للجميع والوطن للجميع، أو: الدين للجميع والوطن لله!

وإنَّما مرادهم بكلمة «الدين لله» أنَّ الدِّين مُجَرَّد علاقةٍ بين ضمير الإنسان وربِّه، ولا مكانَ له في نظام الحياة والمجتمع.

وكان أبرز مثلٍ عمليٍّ لذلك هو «الدولة العِلمانيَّة» الَّتي أقامها كمال أتاتورك في تركيا، وفرضها بالحديد والنار والدم على مجموع الشعب التركي المسلم، بعد تحطيم الخلافة العثمانية آخر حصن سياسي بقي للإسلام بعد صراع القرون، مع الصليبية واليهودية العالمية.

وقد أخذت الحكومات في البلاد الإسلاميَّة الأخرى تقلد تركيا الجديدة على درجات متفاوتة، فأقصي الإسلام عن الحكم والتشريع في

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي صـ ١٩٦ وما بعدها، فصل: دين لا دولة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، وانظر كتابنا: بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين صـ ١٥٥ ـ ١٧٧، فصل: دولة إسلامية لا دولة دينية.

QaradawiBooks.com

الأمور الجنائيَّة والمدنيَّة ونحوها، وبقي محصورًا فيما سـمي «الأحوال الشـخصيَّة» كما أقصي عن التوجيه والتأثير في الحياة الثقافيَّة والتربويَّة والاجتماعيَّة، إلَّا في حدود ضئيلة، وفسـح المجال كل المجال للتوجيه الغربي والثقافة الغربيَّة والتقاليد الغربيَّة.

ولم يُخْفِ بعض الزعماء السياسيِّين العرب إعجابهم باتِّجاه أتاتورك، حتَّى إنَّ زعيم حزب مصري كبير معروف ورئيس وزراء حينذاك قال في تصريح له: إنني معجب بلا تحفظ بكمال أتاتورك وفهمه لمعنى الدولة الحديثة... ورد عليه المرشد الشـهيد في خطاب معروف، نشرته جريدة «الإخوان المسلمون» اليوميَّة فيما بعد.

وكان من أبـرز المظاهر لنجاح الغـزو الثقافي الغربـي أنَّ «الفكر العلماني» الدخيل الَّـذي ينادي بفصل الدِّين عـن الدولة لم يقف عند الرجال «المدنيِّين» وحدهم، بل تعداهم إلى بعض الَّذين درسـوا دراسة دينيَّة في معهد إسلامي عريق كالأزهر، كما تجلَّى ذلك في كتاب الشيخ علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم».

ومن الإنصاف أن نقول: إنَّ هذا الكتاب قد أحدث ضجة هائلة حين صدوره فـي المجتمع عامَّة، وفي الأزهر خاصَّة، وقد شُـكِّلت هيئةٌ من علماء الأزهـر لمحاكمة مؤلِّفـه، فقضت بتجريده من شـهادة العالِمِيَّة، وإخراجه من زمرة العلمـاء، كما ردَّ عليه كثير من العلمـاء والمُفَكِّرين أزهريِّين وغير أزهريِّين[1].

(١) ممن ردوا عليه العلَّامة المجاهد محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق في كتاب سمَّاه: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.

QaradawiBooks.com

كان لا بدَّ إذن من تأكيد الوقوف في وجه العِلمانيَّة ودعاتها ومُبَرِّريها، بتأكيد شمول الإســلام، وإبراز هذا الجانب الحيِّ من أحكامه وتعاليمه: جانب الدولــة، وتنظيمها، وتوجيهها بأحكامه وآدابــه، وإعلان أنَّ ذلك جزءٌ لا يتجزَّأ من نظام الإسلام.

الدليل من نصوص الإسلام:

ولم يكن هذا ابتكارًا من الحركة الإســلاميَّة ومؤسسها ودعاتها، بل هو ما تنطق به نصوص الإسلام القاطعة، ووقائع تاريخه الثابتة، وطبيعة دعوته الشاملة.

أمَّا نصوص الإســلام فحَسْبنا منها آيتان من ســورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

فالخطاب في الآيــة الأولى للــولاة والحُكَّام، أن يرعــوا الأمانات ويحكموا بالعدل، فإنَّ إضاعــة الأمانة والعدل نذير بهلاك الأمة وخراب الديار، ففي الصحيح: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظروا الساعة**»، قيل: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)].

والخطاب فــي الآية الثانية للرعيــة المؤمنين: أن يطيعــوا «أولي الأمر» بشــرط أن يكونوا «منهم»، وجعل هذه الطاعة بعد طاعة الله وطاعة الرسول، وأمر عند التنازع برد الخلاف إلى الله ورسوله، أي: إلى الكتاب والسُّنَّة، وهذا يفترض أن يكون للمسلمين دولة تهيمن وتطاع، وإلا لكان هذا الأمر عبثًا.

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي ضوء الآيتين المذكورتين ألَّف شـيخ الإسـلام ابن تيمية كتابه المعروف «السياسة الشـرعيَّة في إصلاح الراعي والرعيَّة»، والكتاب كلُّه مبنيٌّ على الآيتين الكريمتين.

وإذا ذهبنا إلى السُّنَّة، رأينا الرسـول ﷺ يقول: «**من مات وليس في عنقه بَيْعة، مات مِيتَةً جاهليَّة**»[1]، ولا ريب أنَّ من المحرَّم على المسـلم أن يبايع أيَّ حاكم لا يلتزم بالإسـلام، فالبيعة الَّتـي تُنْجيه من الإثم أن يبايع من يحكم بمـا أنزل الله... فإذا لم يوجد ذلك فالمسـلمون آثمون حتَّى يتحقَّق الحكم الإسـلامي، وتتحقق به البيعة المطلوبة، ولا ينجي المسلم من هذا الإثم إلَّا أمران: الإنكار ـ ولو بالقلب ـ على هذا الوضع المنحرف المخالف لشريعة الإسلام...

والسـعي الدائب لاسـتئناف حياة إسـلاميَّة قويمة، يوجهها حكم إسلامي صحيح.

وجاءت عشرات الأحاديث الصحيحة عن الخلافة والإمارة والقضاء والأئمَّة وصفاتهم وحقوقهم من الموالاة والمعاونة على البرِّ، والنصيحة لهم وطاعتهم في المنشط والمكره، والصبر عليهم، وحدود هذه الطاقة وهذا الصبر وتحديد واجباتهم من إقامة حدود الله ورعاية حقوق الناس، ومشـاورة أهل الرأي، وتولية الأقوياء الأمناء، واتخاذ البطانة الصالحة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك من أمور الدولة وشؤون الحكم والإدارة والسياسة.

ولهذا رأينا شـؤون الإمامة والخلافة تذكر في كتب العقائد وأصول الدين، كما رأيناهـا تذكر في كتب الفقه، كما رأينا كتبا خاصَّة بشـؤون

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الدولة الدستوريَّة والإداريَّة والماليَّة والسياسيَّة، كـ «الأحكام السُّلْطانيَّة» للماوردي، ومثله لأبـــي يعلى، و«الغياثي» لإمام الحرمين، و«السياســة الشرعيَّة» لابن تيمية، و«تحرير الأحكام» لابن جماعة، و«الخَرَاج» لأبي يوســف، ومثله ليحيى بـــن آدم، و«الأمـــوال» لأبي عُبَيــد، ومثله لابن زنجويه... وغير ذلك ممَّا ألف ليكون مرجعًا للقضاة والحكام كـ «الطُّرُق الحُكْمِيَّة»، و«التبصرة»، و«مُعِين الحُكَّام»، وما شابهها.

الدليل من تاريخ الإسلام:

أمَّا تاريخ الإسلام، فينبئنا أنَّ رسول الله ﷺ سعى بكل ما استطاع من قوة وفكر ـ مؤيــدًا بهداية الوحي ـ إلـــى إقامة دولة للإســـلام، ووطن لدعوتـــه، خالص لأهله، ليـــس لأحد عليهم فيه ســـلطان، إلَّا ســـلطان الشريعة، ولهذا كان يعرض نفسه على القبائل ليؤمنوا به ويمنعوه ويحموا دعوتـــه، حتَّى وفـــق الله «الأنصار» مـــن الأوس والخزرج إلـــى الإيمان برسالته، فلما انتشر فيهم الإسلام جاء وفد منهم إلى موسم الحج مكون من (٧٣) رجلًا وامرأتين، فبايعوه ﷺ على أن يمنعوه ممَّا يمنعون أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، وعلى الســـمع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلخ، فبايعوه على ذلك. وكانت الهجرة إلى المدينة ليست إلَّا سعيًا لإقامة المجتمع المسلم المتميز، تشرف عليه دولة مسلمة متميزة.

كانت «المدينة» هي «دار الإسلام» وقاعدة الدولة الإسلاميَّة الجديدة، الَّتي يرأســـها رسول الله ﷺ فهو قائد المســـلمين وإمامهم، كما أنَّه نبيهم ورسول الله إليهم.

وكان الانضمام إلـــى هذه الدولة لشـــد أزرها والعيـــش في ظلالها والجهاد تحت لوائها؛ فريضة على كل داخل في دين الإســـلام حينذاك،

QaradawiBooks.com

فلا يتم إيمانه إلَّا بالهجرة إلى دار الإســلام، والخــروج من دار الكفر والعداوة للإسلام، والانتظام في ســلك الجماعة المؤمنة المجاهدة الَّتي رماها العالم عن قوس واحدة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ويقول في شأن قوم: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩][1].

كما نزل القــرآن الكريم يندد أبلــغ تنديد بأولئك الَّذين يعيشــون مختارين في دار الكفر والحرب، دون أن يتمكنوا من إقامة دينهم وأداء واجباتهم وشعائرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ۞ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

وعند وفاة النبيِّ ﷺ كان أوَّل ما شغل أصحابه رضي الله عنهم أن يختاروا «إمامًا» لهم، حتَّى إنهم قدموا ذلك على دفنه ﷺ، فبــادروا إلى بيعة أبي بكر، وتســليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، وبهذا الإجمــاع التاريخي ابتــداء من الصحابــة والتابعين، مــع ما ذكرنا من النصوص؛ استدلَّ علماء الإسلام على وجوب نصب الإمام الَّذي هو رمز الدولة الإسلاميَّة وعنوانها.

ولم يعرف المســلمون في تاريخهم انفصالًا بين الدِّين والدولة إلَّا عندما نجم قرن العِلمانيَّة في هذا العصر، وهو ما حذَّر الرسول ﷺ منه،

(١) إنَّ الهجرة إلى الدولة المســلمة هو الانضمام إلى الجماعة المسلمة التي تعمل لإقامة دولة الإسلام فهو فريضة على كل مسلم بحسب وسعه.

QaradawiBooks.com

وأمر بمقاومته كما في حديث معاذ: «**ألا إنَّ رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار، ألا إنَّ القرآن والسلطان سيفترقان** ـ أي: الدين والدولة ـ **فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنَّه سيكون عليكم أمراءُ يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلُّوكم**». قالوا: وماذا نصنع يا رسولَ الله؟ قال: «**كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم، نُشِرُوا بالمناشير، وحملوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله**»[1].

الدليل من طبيعة الإسلام:

أمَّا طبيعة الإسلام ورسالته، فذلك أنَّه دين عامٌّ، وشريعة شاملة، وشريعة هذه طبيعتها لا بدَّ أن تتغلغل في كافة نواحي الحياة، ولا يتصوَّر أن تهمل شأن الدولة، وتدعها للمُتَحَلِّلين والمُلْحِدِين، أو الفسقة، يديرونها تبعًا للهوى.

كما أنَّ هذا الدين يدعو إلى التنظيم وتحديد المسؤوليَّة، ويكره الاضطراب والفوضى في كل شيء، حتَّى رأينا الرسول ﷺ يأمرنا في الصلاة أنْ نُسَوِّيَ الصفوف وأن يَؤُمَّنا أعلمُنا، وفي السفر يقول: «**أَمِّروا أحدكم**».

يقول الإمام ابن تيمية في «السياسة الشرعيَّة»: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر النَّاس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام لدين ولا للدنيا، إلَّا بها، فإنَّ بني آدم لا تتمُّ مصلحتهم إلَّا بالاجتماع،

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩٠/٢٠)، وفي الصغير (٧٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٥/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٥٣): رواه الطبراني، ويزيد بن مرثد لم يسمع معاذًا، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان، وغيره، وبقية رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ عند الاجتماع من رأس، حتَّى قال النبي ﷺ: «**إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤَمِّروا أحدهم**». رواه أبو داود من حديث أبي سعيد[١] وأبي هُرَيْرة[٢]. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يحلُّ لثلاثةٍ أن يكونوا بفلاةٍ من الأرض إلَّا أمَّروا عليهم أحدهم**»[٣]، فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع.

ولأنَّ الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بقوَّة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل، وإقامة الحجِّ والجمع والأعياد، ونصرة المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتمُّ إلَّا بالقوَّة والإمارة، ولهذا روي: «**إنَّ السلطان ظلُّ الله في الأرض**»[٤]، ولهذا كان السلف كالفُضَيْل بن عِيَاض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كانت لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان»[٥]. وذلك لأنَّ الله يصلح بصلاحه خلقًا كثيرًا.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٧): إسناده حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): إسناده حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٦٦٤٧)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم (٤٤٣/١، ٤٤٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣٦٢): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٨٨)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٥٠)، عن أبي بكرة.

(٥) السياسة الشرعية لابن تيمية صـ ١٢٩، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

ثم إنَّ طبيعة الإسلام باعتباره منهجًا يريد أن يسود ويقود ويوجه الحياة ويحكم المجتمع ويضبط سير البشر وَفْق أوامر الله، لا يُظَنُّ به أن يكتفي بالخطابة والتذكير والموعظة الحسنة، ولا أن يدع أحكامه ووصاياه وتعليماته في شتَّى المجالات إلى ضمائر الأفراد وحدها، فإذا سقمت هذه الضمائر أو ماتت، سقمت معها وماتت تلك الأحكام والتعاليم، وقد قال الخليفة الثالث رضي الله عنه: «إنَّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن»[(١)].

فمن النَّاس من يهديه الكتاب والميزان، ومنهم من لا يردعه إلَّا الحديد والسنان، ولذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن تيمية: «فمن عدل عن الكتاب عُدِّل بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف»[(٢)].

وقال الإمام الغزالي: «الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتمُّ الدين إلَّا بالدُّنيا، والملك والدين توءمان، فالدين أصل، والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلَّا بالسلطان»[(٣)].

إنَّ نصوص الإسلام لو لم تجئ صريحة بوجوب إقامة دولة للإسلام، ولم يجئ تاريخ الرسول وأصحابه تطبيقًا عمليًّا لما دعت إليه هذه

---

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤١٦/١١)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٦٤/٢٨).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١٧/١).

QaradawiBooks.com

النصوص، لكانت طبيعة الرسالة الإسلاميَّة نفسها تحتم أن تقوم للإسلام دولة أو دار، يتميز فيها بعقائده وشـعائره وتعاليمـه ومفاهيمه، وأخلاقه وفضائله، وتقاليده وتشريعاته.

فلا غنى للإسـلام عن هذه الدولة المسـؤولة في أي عصر، ولكنَّه أحوج ما يكون إليها في هذا العصر خاصَّة، هذا العصر الَّذي برزت فيه «الدولة الأيديولوجيَّة»، وهي الدولة الَّتـي تتبنى فكرة، يقوم بناؤها كله على أساسها، من تعليم وثقافة وتشـريع وقضاء واقتصاد، إلى غير ذلك من الشـؤون الداخليَّة والسياسـيَّة الخارجيَّة، كما نرى ذلك واضحًا في الدولة الشيوعية والاشتراكيَّة، وأصبح العلم الحديث بما وفره من تقدم تكنولوجي في خدمة الدولة، وأصبحت الدولة بذلك قادرة على التأثير في عقائد المجتمع وأفكاره وعواطفه وأذواقه وسلوكه بصورة فعَّالة، لم يعرف لها مثيل من قبل، بل تسـتطيع الدولة بأجهزتها الحديثة الموجهة أن تغير قيم المجتمع ومثله وأخلاقه رأسًـا على عقـب، إذا لم تقم في سبيلها مقاومة أشد.

إنَّ دولة الإسلام «دولة فكريَّة»، دولة تقوم على عقيدة ومنهج، فليست مجرد «جهاز أمن» يحفظ الأمة من الاعتداء الداخلي أو الغزو الخارجي، بل إن وظيفتها لأعمق من ذلك وأكبر، وظيفتها تعليم الأمة وتربيتها على تعاليم ومبادئ الإسـلام، وتهيئة الجو الإيجابي والمناخ الملائم؛ لتحول عقائد الإسلام وأفكاره وتعاليمه إلى واقع عملي ملموس، يكون قدوة لكل من يلتمس الهدى، وحجة على كل سالك سبيل الردى.

ولهذا يعرف ابن خلـدون «الخلافـة» بأنها: حمـل الكافة على مقتضى النظر الشـرعي في مصالحهم الأخرويَّـة والدُّنْيَوِيَّة الراجعة

QaradawiBooks.com

إليها؛ إذ أحوال الدُّنْيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدُّنْيا به[١].

ولهذا وصف الله المؤمنين حين يمكن لهم في الأرض وبتعبير آخر حين تقوم لهم دولة، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١].

إنَّ شعار دولة الإسلام ما قاله ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: «إنَّ الله بعثنا لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[٢].

ثم إنَّ هذه الدولة الفِكْريَّة ليست ذات صفة مَحَلِّيَّة، ولكنَّها دولة ذات رسالة عالميَّة؛ لأنَّ الله حمَّل أُمَّة الإسلام دعوة البشريَّة إلى ما لديها من هدى ونور، وكلَّفها الشهادة على الناس، والأستاذيَّة للأمم، فهي أُمَّة لم تنشأ بنفسها ولا لنفسها فحَسْب، بل أُخْرِجَت للناس، أخرجها الله الَّذي جعلها خير أُمَّة وخاطبها بقوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هنا وجدنا النبيَّ ﷺ حين أتيحت له أوَّل فرصة ـ بعد صلح الحديبية ـ كتب إلى ملوك العالم وأمراء الأقطار في أركان الأرض يدعوهم إلى الله، والانضواء تحت راية التوحيد، وحملهم إثم أنفسهم وإثم رعيتهم إذا تخلفوا عن ركب الإيمان، وكان يختم رسائله بهذه الآية:

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٦٨٨/٢)، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٦م.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٤٠١/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

حاجتنا إلى دولة تحتضن الإسلام:

إن أوَّل ما تحتاج إليه الدعوة الإسلاميَّة في هذا العصر أن تقوم «دار الإسلام» أو «دولة الإسلام» تتبنَّى رسالة الإسلام عقيدة ونظامًا، وحياة وحضارة، وتقيم حياتها كلها: المادِّيَّة والأدبية على أساس من هذه الرسالة الشاملة، وتفتح بابها لكل مؤمن يريد الهجرة من ديار الكفر والظلم والابتداع.

هذه الدولة المنشودة ضرورة إسلاميَّة، وهي أيضًا ضرورة إنسانية؛ لأنَّها ستقدم للبشريَّة المثل الحي لاجتماع الدين والدنيا، وامتزاج المادة بالروح، والتوفيق بين الرقي الحضاري والسمو الأخلاقي، وتكون هي اللبنة الأولى لقيام دولة الإسلام الكبرى، الَّتي توحد الأمة المسلمة تحت راية القرآن، وفي ظل خلافة الإسلام، ولكن القوى المعادية للإسلام تبذل جهودًا جبارة مستميتة دون قيام هذه الدولة في أي رقعة من الأرض، وإن صغرت مساحتها وقل سكانها.

قد يسمح الغربيُّون بدولة ماركسيَّة، وقد يسمح الشيوعيُّون بدولة ليبراليَّة، ولكن لا هؤلاء ولا أولئك يسمحون بدولة إسلاميَّة صحيحة الإسلام.

وحين تقوم حركة إسلاميَّة ناجحة يخشى أن تتحول إلى دولة، سرعان ما توجه إليها قوى الكفر ـ العالمية والمحلية ـ ضرباتها

QaradawiBooks.com

المحمومة، ومن تشـــريد وتجويـــع وتعذيب وتقتيل، وتشـــويه وتمويه، ولا تكاد تفيق مـــن ضربة حتَّى يباغتوها بأخرى، لتظل دائمًا في شـــغل بآلامها عن آمالها، وبمتاعبها عن مطالبها، وبجروحها عن طموحها.

لو كانت لنا حكومة:

يقول الأستاذ البنا: «لو كانت لنا حكومة إسلاميَّة صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مســـتقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الَّذي بين يديها، وجلال النظام الإســـلامي الَّذي ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شـــعبها، وهداية النَّاس جميعًا... لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدُّنْيا باسم الإســـلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها ســـوقًا إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من وســـائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتســـبت مركزًا روحيًّا وسياسيًّا وعمليًّا بين غيرها من الحكومات، ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشـــعب، وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير في نفسه الحماسة والجد والعمل.

عجيب أن تجد الشـــيوعية دولة تهتف بها، وتدعو إليها، وتنفق في سبيلها، وتحمل النَّاس عليها، وأن تجد الفاشستيَّة والنازيَّة أممًا تُقَدِّسها، وتجاهد لها، وتعتزُّ باتِّباعها، وتخضع كل النظم الحيويَّة لتعاليمها، وأن تجد المذاهب الاجتماعيَّة والسياســـيَّة المختلفة أنصـــارًا أقوياء، يقفون عليهـــا أرواحهـــم وعقولهم وأفكارهـــم وأقلامهم وأموالهـــم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها.

ولا نجد حكومة إســـلاميَّة تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الَّذي جمع محاســـن هذه النظم جميعا وطرح مســـاوئها، وتقدمـــه لغيرها من

QaradawiBooks.com

الشعوب كنظامٍ عالميٍّ فيه الحلُّ الصحيح الواضح المريح لكلِّ مشكلات البشـريَّة، مع أنَّ الإسـلام جعل الدعوة فريضة لازمـة، وأوجبها على المسلمين شـعوبًا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيهـا نظـام الدعايـات: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكن أنـى لحكامنا هـذا، وهم جميعًـا قد تربوا فـي أحضان الأجانب، ودانـوا بفكرتهم علـى آثارهم يهرعون، وفـي مرضاتهم يتنافسون؟! ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إنَّ الفكرة الاستقلالية في تصريف الشـؤون والأعمال لم تخطر ببالهم، فضـلًا عن أن تكون منهاج عملهم.

لقد تقدمنـا بهذه الأمنية إلـى كثير من الحاكمين فـي مصر، وكان طبيعيًّا ألا يكون لهذه الأمنيـة أثر عملي، فإنَّ قومًا فقدوا الإسـلام في أنفسهم وبيوتهم وشـؤونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ليسـت هذه مهمتهم أيها الإخـوان، فقد أثبتت التجـارب عجزهم المطلق عـن أدائها، ولكنَّها مهمة هذا النشء الجديد، فأحسـنوا دعوته، وجدوا في تكوينه، وعلموه اسـتقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملؤوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجندوه تحت لواء مُحَمَّد ورايته، وسترون منه في القريب الحاكم المسلم الَّذي يجاهد نفسه ويسعد غيره[1].

(١) رسـالة الإخوان المسـلمون تحت راية محمد ﷺ ضمن مجموعة رسـائل الإمام البنا صـ ١٩٦، ١٩٧.

QaradawiBooks.com

الإسلام والسياسة:

جاهد الأستاذ حسن البنَّا جهادًا كبيرًا ليعلم المسلمين فكرة «شمول الإسلام»، وبعبارة أخرى: ليعيد إليهم ما كان مقررًا وثابتًا طوال ثلاثة عشر قرنًا، أي: قبل دخول الاستعمار، والغزو الفكري إلى ديارهم، وهو: أنَّ الإسلام يشمل الحياة كلها بتشريعه وتوجيهه: رأسيا منذ يولد الإنسان حتَّى يتوفاه الله، بل من قبل أن يولد، وبعد أن يموت، حيث هناك أحكام شرعيَّة تتعلق بالجنين، وأحكام تتعلق بالإنسان بعد موته.

وأفقيًّا: حيث يوجه الإسلام المسلم في حياته الفرديَّة والأسريَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة من أدب الاستنجاء إلى إمامة الحكم، وعلاقات السلم والحرب.

وكانت نتيجة هذا الجهاد واضحة، هي وجود قاعدة ضخمة تؤمن بهذا الشمول وتنادي بالإسلام عقيدة وشريعة، ودينا ودولة، في كل أقطار الإسلام، وتراجع كثيرين من ضحايا الغزو الفكري عمَّا آمنوا به في ظلِّ وطأة الاستعمار الثقافي، وبروز الصحوة الإسلاميَّة على الساحة الفِكْريَّة والسياسيَّة بصورة قلبت موازين القوى، ممَّا جعل الجهات الأجنبيَّة الراصدة من الغرب والشرق تعقد الكثير من الحلقات والندوات والمؤتمرات لدراسة هذه الظاهرة الإسلاميَّة الخطيرة وتنفق في ذلك الأموال والجهود، حتَّى بلغ عدد هذه المنتديات ـ فيما ذكر الأستاذ فهمي هويدي ـ مائة وعشرين.

وهذا ما جعل عملاء الغرب وعبيد أفكاره يحاولون إيقاف الفجر أن يطلع أو الشمس أن تبزغ، وأن يعيدوا عجلة التاريخ إلى الوراء، إلى عهد الاستعمار ليتصايحوا من جديد: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة!

QaradawiBooks.com

يريــدون أن يعيدوها جذعة، وقد فرغنا منها منــذ نصف قرن، حتَّى سمى بعض هؤلاء العبيد المساكين الإســلام الَّذي لم يعرف المسلمون غيره طوال عصوره ـ قبل عصر الاستعمار ـ الإســلام كما عرفه الفقهاء والأصوليُّون والمُفَسِّــرون والمُحَدِّثون والمُتَكَلِّمــون من كلِّ المذاهب، والَّذي شــرحوه وفصَّلوه من كتاب الطهارة إلى كتاب الجهاد... إســلام العقيدة والشــريعة، إسلام القرآن والسُّنَّة، ســمَّاه «الإسلام السياسي»[1]! يريد أن يكره النَّاس في هذا الإســلام بهذا العنوان، نظرًا لكراهية النَّاس للسياسة في أوطاننا، وما جرت عليهم من كوارث، وما ذاقوا على يديها من ويلات!

ولكن ما حيلتنا إذا كان الإســلام ـ كما شــرعه الله ـ لا بدَّ أن يكون سياسيًّا؟ ما حيلتنا إذا كان الإســلام الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ لا يقبل أن تقســم الحياة والإنســان بين الله تعالى وقيصر؟ بل يصر على أن يكون قيصر وكسرى وفرعون وكل ملوك الأرض عبادا لله وحده!

يريدنا الكاتب المســكين أن نتخلــى عن كتاب ربنا، وســنة نبينا، وإجماع أمتنا، وهدى تراثنا، لنتبنَّى إســلامًا حديثًا، يرضي عنا الســادة الكبار، فيما وراء البحار!

إنَّه يريد «الإســلام الروحي» أو «الإســلام الكهنوتي» الَّذي يكتفي بتلاوة القرآن على الأموات، لا على الأحياء، ويتبــرَّك بتزيين الجدران بآياته، أو افتتاح الحفلات بقراءة ما تيسَّــر منه، ثمَّ يدع قيصر يحكم بما يشاء، ويفعل ما يريد!

(١) انظر الرد علــى هذا التهجم في كتابنا: فتــاوى معاصرة (٦٨٩/٢ ـ ٧٠٣)، عنوان: الإســلام السياسي، نشر المكتب الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

إنَّ الإسلام الَّذي جاء به القرآن والسُّنَّة وعرفته الأُمَّة سلفًا وخلفًا هو إسلام متكامل، لا يقبل التجزئة.

إنَّه الإســـلام الروحـــي، والإســـلام الأخلاقي، والإســـلام الفكري، والإسلام التربوي، والإسلام الجهادي، والإسلام الاجتماعي، والإسلام الاقتصادي، والإسلام السياسي.

إنَّه ذلك كله، لأنَّ له في كلِّ هذه المجالات أهدافًا وغايات، كما أنَّ له فيها كلها أحكامًا وتوجيهات.

يقول الإمام البنَّا في علاقة الدين بالسياسة: «قلَّما تجد إنسانًا يتحدَّث إليك عن السياسة والإســـلام إلَّا وجدته يفصل بينهما فصلًا، ويضع كل واحد من المعنيين في جانب، فهما عند النَّاس لا يلتقيان ولا يجتمعان، ومن هنا ســـميت هذه جميعة إسلاميَّة لا سياســـية، وذلك اجتماع ديني لا سياســـة فيه، ورأيت في صدر قوانين الجمعيات الإسلاميَّة ومناهجها «لا تتعرض الجمعيَّة للشؤون السياسيَّة».

وقبل أن أعرض إلى هـــذه النظرة بتزكية أو تخطئـــة أحب أن ألفت النظر إلى أمرين مُهِمَّين:

أولهما: أنَّ الفارق بعيد بين الحزبيَّة والسياســـة، وقد يجتمعان وقد يفترقان، فقد يكون الرجل سياســـيًّا بكل ما فـــي الكلمة من معان، وهو لا يتصل بحـــزب ولا يمت إليه، وقـــد يكون حزبيًّا ولا يـــدري من أمر السياسة شيئًا، وقد يجمع بينهما، فيكون سياسيًّا حزبيًّا أو حزبيًّا سياسيًّا، على حد ســـواء، وأنا حين أتكلم عن السياسة في هذه الكلمة فإنما أريد السياسة المطلقة، وهي النظر في شـــؤون الأمة الداخليَّة والخارجيَّة غير مقيدة بالحزبية بحال. هذا أمر.

QaradawiBooks.com

والثانـــي: أن غير المســـلمين حينما جهلوا هذا الإســـلام، أو حينما أعياهم أمره وثباته في نفوس أتباعه، ورســـوخه في قلوب المؤمنين به، واستعداد كل مسلم لتفديته بالنفس والمال، لم يحاولوا أن يجرحوا في نفوس المسلمين اسم الإســـلام، ولا مظاهره وشكلياته، ولكنهم حاولوا أن يحصروا معناه في دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية، وإن تركت للمسلمين بعد ذلك قشور من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تســـمن ولا تغني من جوع، فأفهموا المســـلمين أنَّ الإســـلام شـــيء والاجتماع شـــيء آخر، وأنَّ الإسلام شـــيء والقانون شـــيء غيره، وأنَّ الإسلام شيء ومسائل الاقتصاد لا تتصل به، وأنَّ الإسلام شيء والثقافة العامَّة سواه، وأنَّ الإسلام شيء يجب أن يكون بعيدًا عن السياسة.

فحدثوني بربكم أيها الإخوان إذا كان الإســـلام شـــيئًا غير السياسة وغيـــر الاجتماع وغيـــر الاقتصاد وغيـــر الثقافة فما هـــو إذن؟ أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر، أم هذه الألفاظ الَّتي هي كما تقول رابعة العدوية: «استغفار يحتاج إلى اســـتغفار»؟ ألهذا أيها الإخوان نزل القرآن نظامًا كاملًا محكمًا مفصلًا: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

هذا المعنى المتضائل لفكرة الإسلام وهذه الحدود الضيقة الَّتي حُدد بها معنى الإســـلام، هي الَّتي حاول خصوم الإســـلام أن يحصروا فيها المســـلمين، وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم: لقـــد تركنا لكم حرية الدين، وأنَّ الدستور ينص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام.

أنا أعلن أيها الإخوان مـــن فوق هذا المنبر بـــكل صراحة ووضوح وقوَّة: أنَّ الإسلام شيء غير هذا المعنى الَّذي أراد خصومه والأعداء من

QaradawiBooks.com

أبنائه، أن يحصروه فيه ويقيدوه به، وأنَّ الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وسماحة وقوَّة، وخلق ومادة، وثقافة وقانون، وأنَّ المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شؤون أمته، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وأعتقد أن أسلافنا ـ رضوان الله عليهم ـ ما فهموا للإسلام معنى غير هذا، فبه كانوا يحكمون، وله كانوا يجاهدون، وعلى قواعده كانوا يتعاملون، وفي حدوه كانوا يسيرون في كل شأن من شؤون الحياة الدُّنْيا العمليَّة قبل شؤون الآخرة الرُّوحيَّة، ورحم الله الخليفة الأوَّل إذ يقول: لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله[1]»[2] اهـ.

ويقول العالم المؤرخ الرصين الدكتور ضياء الدين الريَّس في كتابه «النظريَّات السياسيَّة الإسلاميَّة»: «لم يعد هناك شك في أنَّ النظام الَّذي أقامه رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بالمدينة ـ إذا نظر إليه من وجهة مظهره العملي وقيس بمقاييس السياسة في العصر الحديث ـ يمكن أن يوصف بأنه «سياسي»، بكل ما تؤديه هاته الكلمة من معنى، وهذا لا يمنع أنَّه يوصف في نفس الوقت بأنه «ديني» إذا كانت وجهة الاعتبار هي النظر إلى أهدافه ودوافعه، والأساس المعنوي الَّذي يرتكز عليه.

فالنظام يمكن أن يوصف إذن في وقت واحد بالوصفين؛ وذلك لأن حقيقة الإسلام شاملة: تجمع بين شؤون الناحيتين المادِّيَّة والرُّوحيَّة، وتتناول أعمال الإنسان في حياتيه الدُّنْيَوِيَّة والأخرويَّة، بل إنَّ فلسفته

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣٠/٤، ٣١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) رسالة مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين ضمن مجموعة الرسائل صـ ١٥٨، ١٥٩.

QaradawiBooks.com

عامَّة تمزج بين الأمرين، ولا تعترف بالتمييز بينهما إلَّا من حيث اختلاف وجهة النظـر، أمَّا فـي ذاتيتيهما فيؤلفـان كلًّا أو وحدة منسـقة، وهما متلازمان لا يمكن أن يتصور انفصال أحدهما عن الآخر، وهذه الحقيقة عن طبيعة الإسـلام قد أصبحت من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى كبير عناء لإقامـة البرهان، وهي مؤيَّدة مـن حقائق التاريـخ، وكانت عقيدة المسـلمين فـي كل العصور السـالفة، وقد بـدأ يدركهـا جمهور من المستشرقين مع عدم قربهم من بيئة الإسـلام، ومع ذلك فهناك نفر من أبناء الإسلام ممَّن ينعتون أنفسهم بأنَّهم «مُجَدِّدون» يُجاهرون بإنكارهم لهذه الحقيقة! وهم يدعون أنَّ الإسـلام ليس إلَّا مُجَرَّد «دعوة دينيَّة»[1]، يريدون بذلك أنَّه ليس إلَّا مُجَرَّد اعتقاد أو صلة رُوحيَّة بين الفرد وربِّه، فلا تعلُّق له إذن بهذه الشـؤون الَّتي نصفها بأنَّها مادِّيَّـة في هذه الحياة الدنيا، ومن بين هذه الشؤون: مسائل الحرب والمال، وفي طليعتها أمور السياسة، ومن أقوالهم: «إنَّ الدِّين شيء والسياسة شيء آخر».

وليس من المجدي من أجل الردِّ على هـؤلاء أن نروي لهم أقوال علماء الإسلام، فقد لا يستشعرون أنَّهم مقتنعون بما يقولون، ولا أن نبدأ بذكر حقائق التاريخ، فقد يعمدون إلـى المكابرة فيها، ولكن يكفي أن نثبت جملة ممَّا قال علماء الاستشراق في هذا الصدد، وقد بينوا آراءهم في عبـارات صريحة قاطعة، لأن هـؤلاء المجددين لا يسـتطيعون أن

(١) في مقدمة المجاهرين بهذه الآراء والمدافعين عنها الأستاذ علي عبد الرازق، القاضي الشرعي السـابق بالمنصورة، ثم وزير الأوقاف فيما بعد، في كتابه الذي نشـره عام ١٩٢٥م بعنوان: الإسلام وأصول الحكم، وفوق هذه الردود التي نعرضها الآن سنعود إلى مناقشة آرائه والرد عليها بالتفصيل، في خلال الفصول القادمة. انظر بصفة خاصة الفصل الرابع من كتابنا هذا تحت عنوان: الرد على دعاوى بعض المعاصرين. من تعليق د. الريس.

QaradawiBooks.com

يزعموا أنَّهم أوثق منهم صلة بالعصر الحاضر، ولا أكثر قدرة على استعمال أساليب البحث الحديثة، واستخدام الطرق العِلميَّة، فهذه إذن طائفة من أقوالهم:

١ ـ يقول الدكتور «فتزجرالد» «DR. V. FITZGERALD»: «ليس الإسلام «دينًا» فحسب «A POLITICAL SYSTEM»، ولكنَّه «نظام سياسي أيضًا»، وعلى الرغم من أنَّه قد ظهر في العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين، ممَّن يصفون أنفسهم بأنَّهم «عصريون» يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين ـ فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس أنَّ الجانبين متلازمان، لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر» اهـ[١].

٢ ـ ويقول الأستاذ «نللينو» «C. A. NALLINO»: «لقد أسس مُحَمَّد في وقت واحد: دينًا «A RELIGION» ودولة «A STATE»، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته»[٢].

٣ ـ ويقول الدكتور «شاخت» «DR. SCHACHT»: «على أنَّ الإسلام يعني أكثر من دين: إنَّه يمثل أيضًا نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول إنَّه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا»[٣].

٤ ـ ويقول الأستاذ «ستروثمان» «R. STROTHMANN»: «الإسلام ظاهرة دينيَّة، سياسية؛ إذ إنّ مؤسسه كان نبيًّا، وكان سياسيًّا حكيمًا، أو رجل دولة»[٤].

---

(١) MUHAMMEDAN LAW - CH, I., P.1.

(2) CITED BY SIR T. ARNOLD IN HIS BOOK: THE CALIBHATE. P. 198.

(3) ENCYCLOPAEDIA OF SOCIAL SCIENCES. VOL. VIII P. 333.

(4) THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM. IV. P. 350.

QaradawiBooks.com

٥ ـ ويقول الأســتاذ «ماكدونالد» «D. B. MACDONALD»: «هنا ـ أي فــي المدينة ـ تكونــت الدولة الإســلاميَّة الأولى، ووضعــت المبادئ الأساسيَّة للقانون الإسلامي»[١].

٦ ـ ويقول الســير «توماس أرنولد» «SIR. T. ARNOLD»: «كان النبي في نفس الوقت رئيسًا للدين ورئيسًا للدولة»[٢].

٧ ـ ويقول الأســتاذ «جب»[٣]: «عندئذ صار واضحًا أنَّ الإســلام لم يكن مجرد عقائد دينيَّة فردية، وإنَّما اســتوجب إقامة مجتمع مستقل، له أسلوبه المعين في الحكم، وله قوانينه وأنظمته الخاصة به»[٤] اهـ.

فمن لم يكن يقنعه إلَّا أقوال الغربيين فها هي تخرس كل مكابر.

الوطن والوطنيَّة:

وهناك جزء آخر من الجانب السياسي أشار إليه الأستاذ البنَّا في الأصل الأوَّل، وفصله في رســائله الأخرى، وهو ما يتعلق بالوطن والوطنيَّة، فقد ذكر الوطن بجانب الدولة، حين قال: «الإسلام دولة ووطن».

والواقع أنَّه لا دولة بلا وطــن، فمن مقومات الدولــة أن يكون لها أرض مستقلة محددة الأبعاد تسود فيها وتحكم، وهذه هي الوطن.

وبعض دعاة الوطنيَّة اتهم دعاة الإسلام بأنَّهم لا يتحمسون للوطن والوطنيَّة: وهذا ليس بصحيح، فإن أوطانهم جزء من أرض الإسلام،

(1) TION - DEVELOPMENT OF MUSLIM THEOLOGY. JURISPRUDENCE. AND CANSTITU AL THEORY. «NEW YORK 1903» p. 67.

(2) The caliphate. Oxford 1924، p.30.

(٣) Muhammedanism. 1949، p.3.

(٤) النظريات السياسية الإسلامية صـ ٢٧ ـ ٢٩، نشر مكتبة التراث، القاهرة، ط ٧، ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

أو دار الإســـلام، الَّتي يدافعـــون عنها بالأنفس والأمـــوال، ويفدونها بالمهج والأرواح.

إنَّما الَّذي ينكرونه هو «العصبيَّـــة الإقليمية» الضيقة، والمبالغة في الوطنيَّة بحيث تصبح بديلًا عن الدين، ويغدو الوطن وثنًا يعبد مع الله أو من دون الله، وتمســـي العاطفة الوطنيَّة بديلًا عـــن العاطفة الدِّينيَّة، وبعبارة أدق: العاطفة الإسلاميَّة، ويصبح الولاء للوطن لا لله، والإقسام بالوطن لا بالله، والبداية باسم الوطن لا باسم الله، والعمل لوجه الوطن لا لوجه الله.

هذا هو الَّذي ينكر من الوطنيَّة وليس حـــب الوطن ولا الذود عنه، ولا العمل على تحريره وتقدمه وازدهاره، وفي هذا يقول الأستاذ البنَّا في رسالة «إلى الشـــباب»: «يخطئ من يظن أنَّ الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنيَّة، فالمسلمون أشد النَّاس إخلاصًا لأوطانهم وتفانيًا في خدمة هذه الأوطان، واحترامًا لكل من يعمل لها مخلصًا، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون فـــي وطنيتهم وإلى أي عزة يبغـــون بأمتهم، ولكن الفارق بين المســـلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنيَّة المجردة أن أساس وطنية المســـلمين العقيـــدة الإســـلاميَّة، فهم يعملون لوطـــن مثل مصر ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد لأن مصر في أرض الإسلام وزعيمة أممه، كما أنَّهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها، بل يشركون معها فيه كل أرض إســـلاميَّة وكل وطن إســـلامي، على حين يقف كل وطني مجرد عند حدود أمته، ولا يشـــعر بفريضة العمل للوطن إلَّا عن طريق التقليـــد أو الظهور أو المباهاة أو المنافـــع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده، وحســـبك من وطنية الإخوان المسلمين أنَّهم

QaradawiBooks.com

يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أنَّ التفريط في أي شـبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر، حتَّى يعيدوه أو يهلكـوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلَّا بهذا»[1] اهـ.

وفي رسـالة أخرى ـ دعوتنا ـ يفصل الإمام البنَّـا القول في الوطنيَّة تفصيلًا، فقـد كان الرجل حريصًـا على تحديد المفاهيـم الغامضة، أو المحتملة لاختـلاف الأفهام، وعلـى تفصيل المعانـي والمصطلحات المجملة، وضبط الكلمات الهلامية الَّتي يفسرها كل فريق بما يمليه عليه هواه، أو تبعيته لفكرة معينة.

بين في هذه الرسالة الموقف من الدعوات المختلفة الَّتي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار. ومنها: الوطنيَّة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «افتتن النَّاس بدعوة الوطنيَّة تارة، والقوميَّة تارة أخرى، وبخاصَّة في الشرق، حيث تشعر الشعوب الشرقيَّة بإساءة الغرب إليها، إسـاءة نالت من عزتها وكرامتها واسـتقلالها، وأخذت من مالها ومن دمها، وحيث تتألم هذه الشـعوب من هذا النيـر الغربي الَّذي فرض عليها فرضا، فهي تحـاول الخلاص منه بكل ما في وسـعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء، وسالت أنهار الصحف، وكتـب الكاتبون، وخطب الخطبـاء، وهتف الهاتفون باسـم الوطنيَّة وجلال القوميَّة.

حسـن ذلك وجميل، ولكن غير الحسـن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشـعوب الشـرقيَّة ـ وهي مسـلمة ـ أن ذلك في الإسلام

(١) رسالة إلى الشباب ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد صـ ١٨٠.

QaradawiBooks.com

بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل ممَّا هو في أفواه الغربيين، وكتابات الأوربيين، أبوا ذلك عليك، ولجُّوا في تقليدهم يعمهون، وزعموا لك أنَّ الإسلام في ناحية، وهذه الفكرة في ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك ممَّا يفرق وحدة الأمة، ويضعف رابطة الشباب.

هذا الوهم الخاطئ كان خطرًا على الشعوب الشرقيَّة من كل الوجهات، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنيَّة، ذلك الموقف الَّذي ارتضوه لأنفسهم، والَّذي يريدون ويحاولون أن يرضاه النَّاس معهم.

إن كان دعاة الوطنيَّة يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالًا الَّذي ضحَّى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه، هو بلال الَّذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكَّة، في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وحَوْلِي إِذْخِرٌ وجَلِيلُ؟!
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مجنَّة وهل يبدون لي شامةٌ وطَفِيلُ[1]؟!

ولقد سمع رسول الله ﷺ وصف مكَّة من «أصيل» فجرى دمعه حنينا إليها وقال: «**يا أُصَيْلُ، دع القلوبَ تَقِرَّ**»[2].

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلال له، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس

(١) رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو الفتح الأزدي في المخزون في علم الحديث صـ ٤٦، عن بديح السلمي، نشر الدار العلمية، دلهي، الهند، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضًا، وقد شـدد الإسـلام فـي ذلك أبلغ التشديد فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ويقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

وإن كانوا يريدون بالوطنيَّـة تقوية الرابطة بين أفـراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضًا، ويراه الإسـلام فريضة لازمة فيقول نبيه ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»[1]، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وإن كانوا يريدون بالوطنيَّة فتح البلاد، وسـيادة الأرض، فقد فرض ذلك الإسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وإن كانوا يريدون بالوطنيَّة تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء، وشـكلتها الغايات والأغراض، وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصيَّة، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالًا يفرقهم في الحق ويجمعهم في الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله، فلا يقصدون إلَّا داره ولا يجتمعون إلَّا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس، فها أنت ذا قد رأيت أنَّنا مع

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

دعاة الوطنيَّة، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة الَّتي تعود بالخير على البلاد والعباد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنيَّة الطويلة العريضة لم تخرج عن أنَّها جزء من تعاليم الإسلام».

حدود وطنيتنا:

«أمَّا وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أنَّنا نعتبر حدود الوطنيَّة بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول: لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رسول الله، وطن عندنا له حرمته وقداسته، وحبه والإخلاص له، والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا، نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم، ودعاة الوطنيَّة فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلَّا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر ذلك الفارق العملي فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوي نفسها على حساب غيرها، فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر إسلامي، إنَّما نطلب القوة لنا جميعا، ودعاة الوطنيَّة المجردة لا يرون في ذلك بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العدو بعضهم ببعض».

غاية وطنيتنا:

«هذه هي واحدة، والثانية: أنَّ الوطنيين فقط جل ما يقصدون إليه: تخليص بلادهم، فإذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك اهتموا بالنواحي المادِّيَّة كما تفعل أوروبا الآن، أمَّا نحن فنعتقد أنَّ المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها تلك هي هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقًا على كل ربوع الأرض، لا يبغي بذلك مالًا ولا جاهًا ولا سلطانًا على أحد ولا استعبادًا

QaradawiBooks.com

لشـعب، وإنَّما يبغي وجه الله وحده، وإسـعاد العالـم بدينه وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا بالسـلف الصالحين ـ رضوان الله عليهم ـ إلى هذه الفتوح القدسيَّة الَّتي أدهشـت الدنيا، وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل.

الوحدة واختلاف الدين:

وأحب أن أنبهك إلى سـقوط ذلك الزعم القائل أنَّ الجري على هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة الَّتي تتألف مـن عناصر دينيَّة مختلفة، فإنَّ الإسـلام وهو دين الوحدة والمسـاواة كفل هـذه الروابط بين الجميع ما داموا متعاونين على الخير: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فمن أين يأتي التفريق إذن[١]؟

أفرأيت بعد هذا كيف أنَّنا متفقون مع أشد النَّاس غلوا في الوطنيَّة في حب الخير للبلاد، والجهاد في سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها، ونعمل ونؤيد كل من يسـعى في ذلك بإخلاص، بل أحب أن نتعلم أن مهمتهم إن كانت تنتهي بتحرير الوطن واسـترداد مجده، فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط، أو مرحلة منه واحدة، ويبقى بعد ذلك أن يعملوا لترفع راية الوطن الإسـلامي على كل بقاع الأرض، ويخفق لواء «المصحف» في كل مكان»[٢].

(١) انظر كتابنا: بينات الحل الإسلامي وشـبهات العلمانيين والمتغربين صـ ٢١٤ ـ ٢٤٧، فصل: الحل الإسلامي والأقليات الدينية.

(٢) رسالة دعوتنا ضمن مجموعة الرسائل صـ ١٩ ـ ٢٢.

QaradawiBooks.com

الوطنيَّة المصريَّة عند الإمام:

ويعود الأستاذ إلى فكرة «الوطنيَّة» أو «المصريَّة» بمعنى الانتماء إلى مصر وحبها، والعمل على تحريرها والنهوض بها، فيقول: «فالمصريَّة أو القوميَّة[١] لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها في الكفاح والنضال.

إنَّنا مصريون بهذه البقعة الكريمة من الأرض الَّتي نبتنا فيها ونشأنا عليها، ومصر بلد مؤمن تلقى الإسلام تلقيًا كريمًا، وذاد عنه، ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ وأخلص في اعتناقه، وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف، وهو لا يصلح إلَّا بالإسلام، ولا يداوى إلَّا بعقاقيره، ولا يطب له إلَّا بعلاجه، وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلاميَّة. والقيام عليها، فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع؟ وكيف يقال: إنَّ الإيمان بالمصريَّة لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادي بالإسلام ويهتف بالإسلام؟! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب، عاملون له، مجاهدون في سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنَّها جزء من الوطن العربي العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام.

وليس يضيرنا في هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم، وبما سبق إليه قدماء المصريين النَّاس من المعارف والعلوم، فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه علم ومعرفة، ونحارب هذه النظريَّة بكل قوانا كمنهاج علمي، يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه، بعد أن هداها الله

(١) يلاحظ أنَّ الأستاذ جعل المصرية مرادفة للقومية، فلم تكن هذه الألفاظ قد تحدد معناه وتمايزها تمامًا، وإن كان في رسالة: دعوتنا، قد فرق بينهما بوضوح. وسنذكر ذلك بعد.

QaradawiBooks.com

بتعاليم الإسلام، وشـرح له صدرها، وأنار به بصيرتها، وزادها به شرفًا ومجدًا فوق مجدها، وخلصها بذلـك ممَّا لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية، وأدران الشرك، وعادات الجاهليَّة»[1].

المؤتمرات الوطنيَّة العامَّة:

ولم يكتف حسـن البنَّا بما ذكره في رسـائله عن الوطن والوطنيَّة، فكثيرًا ما شرح ذلك في لقاءاته الخاصة، ومؤتمراته العامَّة.

وأشهد لقد حضرت أحد المؤتمرات العامَّة الَّتي كان يعقدها الإخوان لشـرح المطالب الوطنيَّة في عواصم الأقاليم المصريَّـة، ويتحدث فيها الإمام الشهيد وصحبه، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤٥م، وهبوب الشعوب للمطالبة بحريتها واستقلالها.

كان ذلـك المؤتمر في مدينـة طنطا الَّتي أدرس فيهـا، وقد تحدث الأستاذ عن الوطن، فقسمه إلى ثلاثة أقسام، أو إلى ثلاث مراتب:

الوطن الصغير، والوطن الكبير، والوطن الأكبر.

فأمَّا الوطن الصغير: فهو «وادي النيل» شماله وجنوبه، شماله: مصر، وجنوبه: السودان، وكان الأستاذ البنَّا يقول: «مصر هي السودان الشمالي، والسـودان هو مصر الجنوبية، نحن من السـودان، والسودان منا»، وقد تحدَّدت المطالب هنا في أمرين: جلاء الإنجليز، ووحدة الوادي.

وأمَّا الوطن الكبير: فهو «الوطن العربي»، ولأوَّل مرَّة أسمع تحديده من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: من المحيط الأطلسـي إلى الخليج «الفارسي» ـ اتباعًا للمصطلح السـائد في ذلك الوقـت ـ ولم تكن شـاعت كلمة «الخليج

(١) رسالة دعوتنا في طور جديد ضمن مجموعة الرسائل صـ ٢٢٩، ٢٣٠.

QaradawiBooks.com

العربي» هو فارسي من جهة، وعربي من جهة أخرى، ولهذا اقترح بعضهم تسميته «الخليج الإسلامي».

وهنا تحدَّث عن قضيَّة فلسطين، وأطماع الصهيونيَّة فيها، ولفت الأنظار إلى خطورتها، وكان دائم التنبيه على أهميَّة هذه القضية وما تحمله اليهودية من خطر على العرب والمسلمين في الحاضر والمستقبل.

وأمَّا الوطن الأكبر: فهو «الوطن الإسلامي» من المحيط إلى المحيط، أي: من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، من الدار البيضاء إلى جاكرتا.

بل كان البنَّا رضي الله عنه يعتبر «الأندلس» جزءًا من الوطن الإسلامي، اغتصب منه، بعد ثمانية قرون من الحضارة.

وممَّا لا أنساه في هذا المؤتمر: أنَّ أحد إخواننا الأقباط تكلم في هذا المؤتمر عن قضيَّة «قناة السويس» وحقِّ مصر فيها، وكان مُتَخَصِّصًا في هذا المجال، وكان الإمام يصطحبه معه لشهود هذه المؤتمرات في الأقاليم، رمزًا للوحدة الوطنيَّة، ودليلًا على التسامح الإسلامي.

وممَّا أذكره عن هذا المؤتمر ما قاله الأستاذ عن الوطن الخاصِّ أو الصغير (وادي النيل)، وعن «الاحتلال الإنجليزي» وكيف نقاومه؟ وما وسيلتنا في ذلك؟

وذكر هنا عدة وسائل:

١ ـ **المفاوضة:** دون أي تفريط في أي حق من حقوق الوطن شماله وجنوبه.

QaradawiBooks.com

٢ ـ المقاطعــة: إذا لم تجد المفاوضــة لما هو معــروف من تعنت الإنجليز وصلفهم.

وهنا وضح الأســتاذ أنَّنا نحن أبناء مصر والســودان قادرون على أن نعيش على الكفاف، ونستغني عن بضائع الإنجليز، وذكر هنا المثل العامي الَّذي يقول: «اللي عنــده العيش ويبله عنده الفرح كله»، وقال: «ســنخرج فتاوى ابن حزم من أن بدن العدو الكافر وعرقه ولعابه نجس، إلخ».

٣ ـ الجهاد: قال: «فــإن لم تجد المقاطعة فليــس أمامنا إلَّا الجهاد، وســيقوم هذا الشــعب عن بكرة أبيه للدفاع عن حريته وكرامته، منتظرا إحدى الحسنيين: النصر أو الجنة».

وهنا قال: «فإنَّ من الأدعية الَّتي حفظتها فــي الصغر وكنت أرددها: اللهم ارزقني الحياة الحسنة، والموتة الحسنة، وما معنى الموتة الحسنة؟ هل هي أن يموت الإنسان على فراشــه كما يموت العير[1]؟ إنِّي لا أجد لها معنى إلَّا أن يفصل هذا عن هذا في ســبيل الله!» وأشــار إلى رأسه وجسده رضي الله عنه، وهنا ضج المؤتمر كله بالتهليل والتكبير.

هذا التوجه وهذه التربية قد آتت أكلها في عقول الإخوان ونفوســهم، فكانوا هم السباقين إلى الدفاع عن الوطن، معتبرين ذلك جزءًا من الإسلام، وتعبيرا عن الإيمان، يستوي في ذلك الوطن الصغير والوطن الكبير.

ففي فلسطين كانت لهم مواقفهم وبطولاتهم وشهداؤهم الَّذين رووا ثرى الأرض المقدسة بدمائهم، وسجل بعض ذلك الأخ الفاضل الأستاذ كامل الشريف في كتابه «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين»، وكان جزاؤهم عن ذلك «حل الجماعة» في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م.

(١) العير: أي: الحمار.

QaradawiBooks.com

بل إن ما أصاب الإخوان من محن قاسية وضربات وحشية متتابعة كان له ارتباط بقضية فلسطين، حل الإخوان سنة ١٩٤٨م كان بناء على طلب سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا، بعد اجتماعهم في معسكر «فايد»، واستجابة النقراشي وحكومته لهم، كما أثبتت ذلك الوثائق المؤكدة.

ومحنة ١٩٦٥م كان تمهيدًا لنكبة ١٩٦٧م.

وموقف الإخوان في معارك قناة السويس والتل الكبير مشهور غير منكور، وشهداؤهم ـ وخصوصًا من طلاب الجامعة ـ معروفون «عمر شاهين، والمنيسي، وغانم».

وقد شاركنا نحن أبناء الأزهر في هذه المسيرة، وأقمنا معسكرنا بجامعة الأزهر بالدراسة، وسافرت كتيبتُنا إلى «الشرقيَّة» وودعناها في احتفال مهيب بقاعة الإمام مُحَمَّد عبده.

وقد سجَّل بعض ذلك الأستاذ كامل الشريف أيضًا في كتابه عن «المقاومة السِّرِّيَّة في قناة السويس»، والأستاذ حسن دوح في كتابه عن «كفاح الشباب الجامعي في قناة السويس».

أمَّا ما أدَّاه الإخوان من خدمات لوطنهم في المجالات الأخرى فشيء يَجِلُّ عن الحصر، وكل مدينة أو قرية في مصر تشهد بآثارهم التربويَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة، ومن الكتب الموثقة في الجانب الاجتماعي كتاب الأستاذ مُحَمَّد شوقي زكي «الإخوان والمجتمع المصري».

وهذا الَّذي حدث في مصر حدث مثله أو ما يقاربه في الأقطار العربيَّة الأخرى الَّتي انتشرت فيها دعوة الإخوان المسلمين.

وبهذا ثبت بالقول والعمل وبالنظر والتطبيق: أنَّ الإخوان المسلمين

QaradawiBooks.com

هم أصدق النَّاس في حب أوطانهم، والاستماتة في خدمتها، والذود عن حياضها بالمهج والأرواح؛ لأنَّهم يفعلون ذلك بدافع الإيمان، وموجب حكم الإسلام.

الأمة في الإسلام:

ويبقى في الجانب السياسي جزء ثالث أشـار إليه صاحب الأصول العشـرين ـ بجانب الدولة والوطن ـ هو ما يتعلق بالأمة، فالإسلام دولة ووطن، أو حكومة وأمة.

فكما يعنى الإسلام بالسـلطة الحاكمة يعنى كذلك ـ بل قبل ذلك ـ بالأمة الَّتي تختار السلطة، وتنبثق عنها الدولة.

ولد الإسـلام في جزيرة العرب، وهي قائمة علـى القبلية والعصبيَّة لها، فالقبيلة هي أسـاس الولاء، ومصدر الاعتـزاز والانتماء، فلا مكان لابن القبيلة إلَّا بها، بل لا وجود له إلَّا بها، فهي النسب والحسب، وهي السـلطة والقوة، وهي الاقتصاد والسياسـة، يرضـى برضاها، ويغضب بغضبها، أو بغضب شيخها، ويتعصب لابن القبيلة محقًّا كان أو مبطلًا، شعار كل واحد فيها: «انصر أخاك ـ أي: ابن القبيلة ـ ظالمًا أو مظلومًا»، بالمعنى الظاهري للعبـارة، وكل قبيلة تحاول أن تسـتعلي على القبيلة الأخرى، وتنقص من أطرافها، ولهذا كثرت الغـارات من بعضهم على بعض، حتَّى قال قائلهم:

وأَحْيَانًـا علـى بَكْـرٍ أخينا إذا ما لـم نَجِـدْ إلَّا أخانا[1]!

(١) من شعر القطامي، انظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد (٥٥/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

فلما جاء الإســـلام نقلهم نقلة كبيرة في عالم الفكر، وعالم الشعور، وعالم الواقع، نقلهم من ســـجن القبلية الضيقة إلى باحة الأمة الواسعة، وحذر أشـــد التحذير من الدعوة إلى العصبيَّة بـــكل ألوانها، وخصوصا العصبيَّة للقبيلة.

وفي الحديث: «**ليس مِنَّا من دعا إلى عصبيَّة، أو قاتل على عصبيَّة، أو مات على عصبيَّة**»(١).

«**مَنْ قاتلَ تحت رايةٍ عُمِّيَّة يغضب لعصبـــةٍ، أو يدعو إلى عصبةٍ، أو ينصر عصبة، فقُتِلَ؛ فقِتْلة جاهليَّة**»(٢).

وســـئل ﷺ عن العصبيَّة، فقـــال: «**أن تُعِينَ قومَكَ علـــى الظلم**»(٣)، ففسَّـــرها بأثرها في واقع المجتمع القبلي، فصاحب العصبيَّة مع جماعة وإن جـــاروا وظلموا، وضـــد خصومهم وإن بـــروا وأقســـطوا، أو أوذوا وظلموا، على خلاف ما جاء به الإســـلام من القيام بالقســـط: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

وفي لحظة من لحظات الضعف البشري أطلت النزعة القبلية عند بعض الصحابة، فتنادوا بأســـماء قبائلهم: يا بني فلان، ويا بني علان، فغضب النبي ﷺ أشـــد الغضب، وقال: «**أبدعـــوى الجاهليَّة وأنا بين**

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٣٥)، عن جبير بن مطعم. ولكن يشهد له حديث مسلم الآتي.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، عن أبي هريرة. وعمية: الأمر لا يستبين وجهه.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٨٩)، وقال مخرِّجوه: حســـن. وأبو داود في الأدب (٥١١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٩)، عن واثلة بن الأسقع.

QaradawiBooks.com

أظهركم؟!»[١]، وقال عن دعوة العصبيَّة كلمتـه المعبرة: «**دعوها فإنَّها مُنْتِنَة**»[٢].

لقد أراد الإسلام أن يبني أُمَّةً على أساس العقيدة والفكرة، وليس على أي أســاس مادِّيٍّ أو أرضي ممَّا يبني عليه البشــر أممهم، من عنصر أو لونٍ أو لغةٍ أو أرض، ممَّا ليس للإنسان فيه إرادة واختيار، بل هو قدر مفروض عليه، فلم يختر الإنسان جنسه ولا لونه ولا لغته ولا أرضه الَّتي ولد فيها، إنَّما ورث هــذا كله دون أن يكون له رأي فيه.

أمَّا العقيدة: فالأصل فيهــا أنَّها من اختيار الإنســان، وإيمان المقلد مشكوك في قبوله، بل مرفوض عند المحققين من علماء المسلمين.

أراد الإسلام للمسلمين أن يكونوا أمة تنتسب إلى الحق لا إلى زيد أو عمرو من البشر، فهي لا تقوم على رابطة عرقية ولا لونية ولا إقليمية ولا طبقية، بل هي أمة عقيدة ورسالة قبل كل شيء.

هي أمة الإســلام، أو أمة المســلمين كما قال تعالى: ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ**﴾ [الحج: ٧٨]، وهي أمة الإيمان أو أمة المؤمنين، ولهذا تنادي دائمًا بـ ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟** ﴾.

---

(١) رواه الطبري في التفســير (٥٥/٦، ٥٦)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شــاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة، وانظر: تفسير ابن كثير (٩٠/٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

أوصاف الأمة الأساسيَّة في القرآن:

أبرز ما يميز هــذه الأمة عن غيرها من الأمم أوصــاف أربعة ذكرها القرآن:

الأول: الربانية:

الربانية ـ ربَّانيَّة المصدر، وربانية الوجهة، فهي أمة أنشأها وحي الله تعالى، وتعهدتها تعاليمه وأحكامه حتَّى اكتمل لها دينها، وتمت به نعمة الله عليهــا كما قال تعالــى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالله تعالى هو صانع هــذه الأمة، ولهذا نجد القــرآن الكريم يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهذا التعبير ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يفيد أنَّ الله هو جاعل هذه الأمة ومتخذها وصانعها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فتعبير ﴿أُخْرِجَتْ﴾ يدل على أنَّ هناك مخرجًــا أخرج هذه الأمة، فهي لم تظهر اعتباطًا، ولم تكن نباتًا بريًّا ينبــت وحده دون أن يزرعه زارع، بل هو نبات مقصود متعهد بالعناية والرعاية، والَّذي أخرج هذه الأمة وزرعها وهيأها لرسالتها هو الله ـ جل شأنه.

فهي أُمَّة مصدرهــا ربَّاني، ووجهتها ربَّانيَّة كذلــك، لأنَّها تعيش لله، ولعبادة الله، ولتحقيق منهج الله في أرض الله، فهي من الله وإلى الله[1]، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة في الإسلام صـ ١١ ـ ٥٦، خصيصة: الربانية.

QaradawiBooks.com

والثاني: الوسطيَّة:

الوسـطيَّة الَّتي تؤهِّـل الأُمَّة للشـهادة على النـاس، وتبوئها مكان الأسـتاذيَّة للبشـريَّة، وفيها جاءت الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهي وسطيَّة شاملة جامعة: وسـطيَّة في الاعتقاد والتصور، ووسطيَّة في الشعائر والتعبد، ووسطيَّة في الأخلاق والسلوك، ووسطيَّة في النظم والتشريع، ووسطيَّة في الأفكار والمشاعر.

وسـطيَّة بين الرُّوحيَّة والمادِّيَّة، بين المثاليَّـة والواقعيَّة، بين الفرديَّة والجماعيَّة[1].

إنَّها الأُمَّة الَّتـي تُمَثِّل «الصراط المسـتقيم» بين السـبل المُتَعَرِّجة والملتوية، صراط الله الَّذي له ما في السـماوات وما في الأرض، صراط الَّذيـن أنعم الله عليهم مـن النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين، لا صراط المغضوب عليهم ولا الضالِّين.

والوصف الثالث: الدعوة:

الدعوة، فهي أُمَّة دعوة ورسـالة، ليسـت أُمَّة منكفئة على نفسـها، تحتكر الحقَّ والخير والهداية لذاتها، ولا تعمل على نشرها في النَّاس.

بل الدعوة فريضة عليها، والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله أساس تفضيلها على كل الأمم، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) انظر كتابنا: الخصائص العامة للإسلام صـ ١٢٥ ـ ١٥٤، خصيصة: الوسطية.

QaradawiBooks.com

فهي لم ترجح سائر الأمم في ميزان الله لسبب مادي أو عنصري، كيف وهي تتكون من عناصر شتى، من كل من يدخل في دين الله من أجناس البشر عربًا أو عجمًا؟

إنَّما رجحت في ميزان الحقِّ لأنَّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

وقبل ذلك بآيات قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومعناها على أحد التفسيرين: اجعلوا من أنفسكم أُمَّة الدعوة والأمر والنهي، فبهذا تستحقون أن يقصر الفلاح عليكم، و(مِّنْ) هنا تجريدية لا تبعيضية.

وعلى التفسير الآخر: هيئوا منكم طائفة متماسكة قادرة على الدعوة والأمر والنهي، ولتسقط فرض الكفاية عنكم، وتكونوا أنتم عونا لها.

إن رسالة الإسلام رسالة عالميَّة، رسالة لكل الأجناس، ولكل الألوان، ولكل الأقاليم، ولكل الشعوب، ولكل اللغات، ولكل الطبقات، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعلى الأمة المسلمة أن تدعو النَّاس جميعًا إلى الإسلام بألسنتهم حتَّى نبين لهم، ونقيم الحجة عليهم، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، حتَّى لا تلعن كما لعن الَّذين من قبلها حين فرطوا في هذا

QaradawiBooks.com

الواجب: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

والوصف الرابع: الوحدة:

الوحدة، فالأُمَّة الَّتي يريدها الإسلام أُمَّة واحدة، وإن تكوَّنت من عروق وألوان وطبقات، فقد صهرها الإسلام جميعًا في بوتقته، وأذاب الفوارق بينها، وربطها بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وكيف لا تكون هذه الأمة واحدة وقد وحَّد الله عقيدتها وشريعتها، ووحَّد غايتها، ووحَّد منهاجها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أمَّة ربُّها واحدٌ هو الله، ونبيُّها واحدٌ هو مُحَمَّد ﷺ، وكتابها واحدٌ هو القرآن، وقبلتها واحدةٌ هي الكعبة البيت الحرام، وشريعتها واحدةٌ هي شريعة الإسلام، ووطنها واحدٌ هو «دار الإسلام» على اتِّساعها، وقيادتها واحدةٌ تتمثَّل في «خليفة المسلمين» وأمير المؤمنين، الَّذي يُجَسِّم الوحدة السياسيَّة للأُمَّة.

ولهذا رفض الإسلام أن يكون للمسلمين خليفتان في وقتٍ واحد، حرصًا على وحدة الأُمَّة، ومنعًا لتفرُّق كلمتها، وشتات أمرها.

QaradawiBooks.com

ولهذا لا يجوز أن نقول في تعبيرنا: الأمم الإسلاميَّة، بل الأُمَّة الإسلاميَّة، فهي أمة واحدة كما أمر الله، وليست أمما متفرقة، كما أراد الاستعمار.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولقد نبَّه القرآن على دسائس بعض أهل الكتاب الَّذين يسعون جهدهم لتمزيق شمل المسلمين، وإثارة النعرات العصبيَّة بينهم، فقال تعالى محذرًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

وسبب نزول الآية الكريمة وما بعدها يدلُّ على أنَّ المقصود: يردوكم بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أخوتكم متعادين.

إن وحدة الأمة توجب عليها أن تجعل أخوتها الإسلاميَّة فوق كل العصبيات، فقد جعلها الله تعالى معبرة عن الإيمان ومجسدة له: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسوله الكريم ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه**»[(١)]، أي: لا يخذله عند الشدة أو عند الاعتداء عليه، بل ينصره ويسانده، وهذا هو مقتضى الأُخُوَّة، وهو ما يُؤَكِّده الحديث الآخر: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجِير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٩٥٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن ماجه في الديات (٢٦٨٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٧١٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ويحذر الإسلام أبلغ التحذير من تعادي أبناء الأمة الواحدة إلى حد أن يحارب بعضها بعضًـا، كما كانت تفعل قبائـل الجاهليَّة، يقول ﷺ: «**لا ترجعوا بعـدي كفارًا، يضـرب بعضكم رقابَ بعض**»[١]. «**سـبابُ المسلم فسوق، وقتالُه كفر**»[٢].

الإيمان بالأمة لا ينفي خصوصيَّات الأقوام:

ومن المفيـد هنا أن نُنَبِّه على قضيَّة ذات شـأن، وهـي: أنَّ الإيمان بـ «الأُمَّة» المؤسَّسة على عقيدة الإسلام وأخوة الإيمان والَّتي تضمُّ جميع المسـلمين في رحابها حيث كانوا لا ينفي أنَّ هنـاك خصوصيَّات مُعَيَّنة لكلِّ قوم، يعتزُّون بها، ويحافظون عليها، ولا يُفَرِّطون فيها، ولا مانع من ذلك إذا لم تتحول إلى عصبيَّة عرقية تقاوم أخوة الإسـلام، أو إلى نزعة أنانيَّة انفصاليَّة تُهَدّد وَحْدة دولة الإسلام.

ولقد ترك الرسول ﷺ وأصحابه من بعده القبائل تقاتل تحت راياتها، تحت القيادة الإسـلاميَّة العامَّة؛ ليكون ذلك مصدرًا إضافيًّا لحماسـهم وإقدامهم، حتَّى لا يجلبوا العار على أقوامهم وعشائرهم.

إنَّ حبَّ الرجل لقومه وعشيرته ورغبته في جلب الخير لهم، ودفع الشَّرِّ عنهم، نزعة فطريَّة لا غبار عليها، ولا خطر فيها، كما لا خطر في حبِّه لأسرته، واهتمامه بها، ولا غرو أنْ أمر الرسول بتعلُّم الأنساب لما وراءها من تواصل في الأرحام وإن تباعدت: «**تَعَلَّموا من أنسابكم ما تَصِلُون به أرحامَكم**»[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٨٨٦٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في البر والصلة (١٩٧٩)، وقال: غريب. والحاكم في البر والصلة (١٦١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**خيرُكم المدافعُ عن عشيرته ما لم يأثم**»[(١)].

إنَّ الخطر إنَّما يتمثل فيما إذا وقف قومه موقفًا معاديًا للإسلام، وحادوا الله ورسوله، هنا تحرم الموادة والموالاة، ولو كانت لأقرب النَّاس للإنسان، كأمه وأبيه وزوجه وأخيه.

يقول تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

لا بأس أن يُحِبَّ الرجل أسرته، ويُحِبَّ قومَه وعشيرته، ولكن إذا تعارض ذلك مع حبِّ الله ورسوله فإنَّ حبَّ الله ورسوله أغلى من كلِّ شيء، هنا يتغنَّى المسلم بقول القائل:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سِوَاهُ إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تَمِيمِ[(٢)]!

هنا يقول المسلم ما قاله سلمان رضي الله عنه حين سُئل: ابنُ من أنت؟ فقال: أنا ابن الإسلام[(٣)]!

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢٠)، وقال: أيوب بن سويد ضعيف. عن سراقة بن مالك.

(٢) من شعر نهار بن توسعة اليشكري، كما في الكامل في اللغة الأدب (١٣٣/٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٤/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

القوميَّة عند حسن البنا:

ولقد كان هذا المعنى واضحًا عند الإمام البنَّا، فلم يرفض فكرة «القوميَّة» رفضًا كليًّا، ولم يقبلها قبولًا مطلقًا، بل فصل فيها كما فصل في «الوطنيَّة».

قال رضي الله عنه: «إن كان الَّذيـن يعتزون بمبدأ «القوميَّـة» يقصدون به أنَّ الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسـلاف في مراقـي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسـنة، وأن عظمة الأب ممَّا يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسـن جميل نشـجعه ونأخذ به، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلَّا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟

ولعل الإشارة إلى هذا في قول رسول الله ﷺ: «**الناس معادن، خيارهم فـي الجاهليَّة خيارهم في الإسـلام إذا فقهـوا**»[1]، فها أنـت ذا ترى أنَّ الإسلام لا يمنع من القوميَّة بهذا المعنى الفاضل النبيل.

وإذا قصد بالقوميَّة أنَّ عشـيرة الرجل وأمته أولى النَّاس بخيره وبره وأحقهم بإحسـانه وجهاده فهو حق كذلك، ومـن ذا الَّذي لا يرى أولى النَّاس بجهوده قومه الَّذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لَعَمْـرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْـرُ بَقِيَّةٍ عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُـوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ[2]

وإذا قصد بالقوميَّة أنَّنا جميعًا مُبْتَلَوْن مطالبون بالعمل والجهاد، فعلى كلِّ جماعة أن تُحَقِّـق الغاية من جهتها، حتَّى تلتقي ـ إن شـاء الله ـ في

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٤٩٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) البيت لخالد بن نضلة الحجواني أو لزرافة بن سـبيع الأسـدي، انظر: الحماسـة البصرية (٥٦/٢)، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

ســاحة النصر، فنعم التقســيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشــرقيَّة كتائب كلٌّ في ميدانها حتَّى نلتقي جميعًا في بحبوحة الحُرِّيَّة والخلاص؟

كل هذا وأشــباهه في معنى القوميَّة جميل معجب لا يأباه الإسلام، وهو مقياسنا، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه.

أمَّا أن يــراد بالقوميَّة إحياء عادات جاهليَّة درســت، وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة اســتقرت، والتحلل من عقدة الإسلام، ورباطه بدعوى القوميَّــة والاعتزاز بالجنس، كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتَّى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عــادات جاهليَّة، فذلك في القوميَّة معنى ذميم وخيم العاقبة ســيئ المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته، ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وأمَّا أن يراد بالقوميَّة الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخــرى والعدوان عليهــا والتضحية بها في ســبيل عزة أمة وبقائها، كما تنــادي بذلك ألمانيا وإيطاليا مثــلًا، بل كما تدعي كل أمة تنادي بأنَّها فوق الجميع، فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية في شــيء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشري في ســبيل وهم من الأوهام، لا حقيقة له، ولا خير فيه.

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقوميَّة بهذه المعاني، ولا بأشباهها، ولا يقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية، ولا شيئًا من هذه الألقاب والأســماء الَّتي يتنابز بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ

QaradawiBooks.com

الإنســان الكامل بل أكمل معلم علم الإنســان الخير: «**إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليَّة وتعظمها بالآباء، النَّــاس لآدم وآدم من تراب**»[١]، «**لا فضل لعربي على أعجمي إلَّا بالتقوى**»[٢].

ما أروع هذا وأجمله وأعدلــه! النَّاس لآدم فهم فــي ذلك أكفاء، والناس يتفاضلــون بالأعمال، فواجبهم التنافس فــي الخير، دعامتان قويمتــان لو بنيــت عليهما الإنســانية لارتفعت بالبشــر إلــى علياء الســماوات، النَّاس لآدم فهم إخــوان فعليهم أن يتعاونوا وأن يســالم بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا، ويدل بعضهم بعضًا على الخير، والتفاضل بالأعمــال، فعليهم أن يجتهدوا كل مــن ناحيته حتَّى ترقى الإنســانية، فهل رأيت سموًّا بالإنســانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية؟

خواص العروبة:

ولسنا مع هذا ننكر خواصَّ الأمم ومميِّزاتها الخُلُقِيَّة، فنحن نعلم أنَّ لكلِّ شعبٍ مُمَيِّزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أنَّ الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أنَّ العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتَّخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتَّخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمَّة السابقة الَّتي كلفها كل شعب، تلك هي النهوض بالإنسانيَّة، ولعلَّك لست واجدًا في

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وحسَّنه، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمــد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إســناده صحيح. وقال الهيثمي فــي مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربيَّة من صحابة رسول الله ﷺ»[١] اهـ.

وبهذا لم ير الإمام البنَّا أن يقيم تعارضًا لا ضـــرورة له بين العروبة والإسلام.

مكانة الجهاد في دعوة الإمام البنَّا:

قلنا: إنَّ من المبادئ الَّتي حرص الإمام الشهيد رَحِمَهُ اللَّهُ على توضيحها وإثباتها مبدآن أساســيَّان، همــا: الدولة والجهاد، فقــد حرصت القوى المعادية على حذفهما من الإسلام، وذلك لتحكم الأُمَّة بما تريد، وكما تريد، ما دام الإسلام مجرَّد دين لا دولة له، ولتحكمها كذلك بلا مقاومة، ما دام الإسلام مستأنسًا بلا جهاد.

وقد تحدَّثنا عــن فكرة «الدولــة» ومكانتها في الإســلام، والآن نتحدَّث عن «الجهاد» الَّذي قامت دعوات مشبوهة بل مكشوفة القناع «كالقاديانيَّــة» وغيرها تنادي بإلغائه، وأن عصــره قد انتهى، بعد زمن الصحابة، ولهذا رأينا حســن البنَّا يركز على هــذا المبدأ في الأصل الأوَّل من أصوله العشــرين ويعلم جنود حركته في كلمات مركزة أنَّ الإســلام «جهاد ودعوة» أو «جيش وفكرة» كما هو «عقيدة ســليمة، وعبادة صحيحة سواء بسواء».

وفي الواقع أنَّ دعوة الإخوان المسلمين الَّتي أسَّسها حسن البنَّا قامت من أوَّل يوم بجعل «الجهاد» شــعارا لها، وطريقًــا لتحقيق أهدافها، ولم تقتصر جهودها على التربية الرُّوحيَّة والخلقية فحسب، كما يفعل رجال

(١) رسالة دعوتنا ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا صـ ٢٤.

QaradawiBooks.com

التصوف ـ أعنـي المخلصين المتبعيـن منهم ـ وإن عنيـت بذلك كل العناية، ولم تكتف أيضًا بنشر العلم والوعي، كما فعل بعض المصلحين الإسلاميين، وإن اهتمت بذلك أبلغ الاهتمام.

فلا عجب أن كان شـعار الجماعة وهتافها: «الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

كما أنَّ البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ قال في مذكراته منذ عهد مبكر: إنَّه أراد بدعوته أن تكون دعوة عامَّة قوامها العلم والتربية والجهاد، وكانت التربية الجهاديَّة إحدى شعب التربية الإخوانيَّة الأساسيَّة[1].

وكان من الأوصاف البارزة لرجال الدعوة أنَّهم «رهبان الليل، وفرسان النهار».

وكانت شارة الإخوان عبارة عن «مصحف يحيط به سيفان»، وتحته كلمة «وأعدوا» إشارة إلى الآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفـال: ٦٠]، وإيماء إلى أنَّ الحقَّ لا يعيش ما لم تسنده القوة.

ومن الكلمات الَّتي يحفظها الإخوان: «الإسـلام دينٌ ودولةٌ، وعبادةٌ وقيادة، صلاةٌ وجهاد، مصحفٌ وسيف».

ومن أناشيدهم:

هـو الحـقُّ يحشُـدُ أجنادَه ... ويعتـدُّ للموقـف الفاصلِ!
فصفُّـوا الكتائـبَ آسـادَه ... ودُكُّـوا بـه دولـةَ البَاطِلِ!

(١) مذكرات الدعوة والداعية صـ ٦١، ط ٢، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

ويصفُ هذا النشيد رجال الدعوة بقوله:

رقــاق إذا ما الدُّجــى زارنــا غمرنــا محاريبنــا بالحَــزَنْ
وجنــدٌ شِــدَادٌ إذا رامنــا لبــأسٍ رأى أســدًا لا تَهِــنْ
أخا الكُفْرِ إمَّــا تَبِعْتَ الْهُدَى فَأَصْبَحَت فينا الأخَ الْمُفْتَدَى
وَإِمَّا اعتديتَ فنَحْــنُ الكُمَاةُ نُقَاضِي إِلَى الــرَّوْعِ مَنْ هَدَّدَا
إِذَنْ لَأَذَقْنَــاكَ ضِعْــفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَــاتِ ولَنْ تُنْجَدَا
فَإِنَّــا نَصُــولُ بــرُوحِ الإلــهِ ونَقْفُو رِكَابَ نَبِــيِّ الْهُدَى[1]

نوَّه الإمام الشهيد بالجهاد في كلِّ المناسبات، وكتب في ذلك رسالة نقل فيها أقوال العلماء من جميع المذاهــب على وجوب الجهاد، وبين منه ما هو فرض كفاية، وما هو فرض عين، ثمَّ قال:

«فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمــع أهل العلم مجتهدين ومُقَلِّدين، ســلفيِّين وخلفيِّين، على أنَّ الجهاد فرض كفاية على الأمة الإســلاميَّة، لنشــر الدعوة، وفرض عين لدفع هجــوم الكفَّار عليها، والمسلمون الآن كما تعلم مُســتذلُّون لغيرهم محكومون بالكُفَّار، قد ديســت أرضهم وانتهكت حرماتهم، وتحكَّم في شؤونهم خصومهم، وتعطلَّت شــعائر دينهم فــي ديارهــم، فضلًا عن عجزهم عن نشــر دعوتهم، فوجب وجوبًا عينيًّا لا مناص منه أن يتجهَّز كلُّ مســلم وأن ينطوي على نيَّة الجهاد وإعداد العدَّة له، حتَّى تحين الفرصة ويقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

(١) من شعر عبد الحكيم عابدين في ديوانه البواكير، انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم (١٨٤/١)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية ط١ مصورة، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

ولعلَّ من تمام هذا البحث أن أذكر لك أنَّ المسـلمين في أيِّ عصرٍ من عصورهم، قبل هذا العصر المظلم الَّذي ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد، ولم يفرطوا فيه حتَّى علماؤهـم والمتصوِّفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانـوا جميعًا على أهبة الاسـتعداد، كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعًا في أكثر أوقاته بالجهاد، وكان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد كذلك، وكان شقيق البلخي شيخ الصوفيَّة في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد.

وكان البدر العَيْني شارح البخاري الفقيه المُحَدِّث يغزو سنة ويدرس العلم سنة، ويحجُّ سـنة، وكان القاضي أسـد بن الفرات المالكي أميرًا للبحر في وقته، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطئ.

كذلـك كان السـلف رضـوان الله عليهـم فأيـن نحـن مـن هذا التاريخ؟!»[1] اهـ.

مكانة الجهاد في الإسلام:

لم يكتف الإسلام من المسلم أن يُعبد الله في نفسه بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح بالعَشِيِّ والإبكار.

ولم يكفه منه أن يعبده تعالى ببذل جزء من ماله زكاة وطهرة ومواساة للضعفاء.

أجل، لم يكفه ذلك من المسلم، ما دام في الدُّنْيا باطل يناوئ الحق، وشر يغالب الخير، وفساد يقف أهله في وجه الإصلاح والمصلحين.

(١) رسالة الجهاد ضمن مجموعة الرسائل صـ ٤٣٣.

QaradawiBooks.com

لم يرض من المسلم أن يلزم بيته، ويغلق عليه بابه، ويترك أبالسة الشر، وطواغيت الباطل، يعيثون في الأرض فسادًا، ويفعلون بالحقائق والقيم الرفيعة ما تفعل النار بالهشيم، ويكتفي هو بالحوقلة والاسترجاع، والتسبيح والتهليل!

ولكنَّه فرض على المسلم عبادة يسهم بها في مقاومة الشر، كما أسهم بعبادة الزكاة في فعل الخير.

تلك هي عبادة «الجهاد في سبيل الله».

أمر المسلم بهذه الفريضة كما أمر بالصلاة والصيام والزكاة، سواء بسواء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

وجعل هذا الجهاد من دلائل الإيمان بالحقّ، وأنكر على قوم زعموا الإيمان من غير استعداد للبذل والجهاد: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤]، ثمَّ بيَّن تعالى من هم المؤمنون حقًّا فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي كلِّ مجتمع يوجد أفراد ينزعون إلى الزهد في الدنيا، والزهد في لقاء الناس، والرغبة في الانقطاع إلى العبادة.

ولكن نبي الإسلام يوجه الطاقات الرُّوحيَّة عند هؤلاء إلى ساحة الجهاد الرحبة، بدل الصومعة الضيقة.

QaradawiBooks.com

وما أعظم الفرق بين صاحب الصومعة وصاحب الجهاد! ذاك يفر من الشر خائفًا، وهذا يهاجمه واثقًا، ذاك يعيش في حدود نفسه، وهذا يعيش لأبناء جنسه.

ولهذا أوصى الرسول ﷺ بعض أصحابه فقال: «**وعليك بالجهاد، فإنَّه رهبانيَّة الإسلام**»(١).

وقال أبو هُرَيْرة: مرَّ رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ على شـعب ـ وهو المنفرج بين جبلين ـ فيه عُيَيْنة ـ أي عين صغيرة ـ من ماء عذبة، فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت النَّاس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتَّى أستأذن رسـول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسـول الله ﷺ فقال: «**لا تفعل، فإنَّ مقام أحدكم في سـبيل الله أفضل من صلاته في بيته سـبعين عامًا! ألا تُحِبُّون أن يغفر الله لكم ويُدْخِلَكم الجنَّة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُوَاقَ ناقة وجبت له الجنَّة**»(٢)، وفواق الناقة ما بين رفع اليد عن ضرعها وقت الحلب ووضعها، وقيل: ما بين الحلبتين.

سر فرضية الجهاد في الإسلام:

إنَّ المسلم صاحب رسـالة عالميَّة شاملة لا يصلح لحملها السلبيون والانعزاليون، وإنَّما يحملها الإيجابيون المجاهدون.

رسالة غايتها أن يسود الحق والعدل، وتعلو كلمة الله في أرضه.

---

(١) رواه أحمد (١١٧٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن المبارك في الزهد والرقائق (٨٤٠)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٤)، وحسَّـنه الألباني في صحيـح الجامع (٢٥٤٣)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه أحمد (١٠٧٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي (١٦٥٠)، وقال: حديث حسن. والحاكم (٦٨/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في الجهاد.

QaradawiBooks.com

رسالة جاءت لتقاوم الضعف في النفوس، والزيغ في العقول، والانحراف في السلوك، والبغي في الجماعات، والطغيان في الحكومات، والتظالم بين الأمم والشعوب.

رسالة جاءت لتحطم الوساطة المصطنعة بين الله وعباده، وتحطم الفوارق المفتعلة بين النَّاس بعضهم وبعض.

رسالة تقول للضعفاء: شدوا سواعدكم، وتصيح في الأذلاء: ارفعوا رؤوسكم، وتصرخ في النائمين: هبوا من سباتكم، وتنادي المستعبدين: حطموا قيودكم، وتدعو المستكبرين: أن انزلوا من عروش كبريائكم.

تقول للأغنياء: أنفقوا من مال الله لا من أموالكم.

وتقول للحكام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وتقول للمتفاخرين بالأنساب: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وتقول للمتسلطين على الضمائر من أهل الكتاب: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وتقول للناس جميعًا: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومثل هذه الرسالة الشاملة لا بدَّ أن يكون لها خصوم معاندون، وأعداء مكابرون، يدافعون عن مصالحهم، وينافحون عن نفوذهم ووجودهم، فلا غرابة أن يردوا حقها بالقوَّة، ويصادروا دعوتها بالسيف، ويصدوا دعاتها بالجبروت والعسف.

QaradawiBooks.com

ولا يمكن لمثل هذه الرسـالة العامَّة الخالدة أن تغمض العين على القذى، وتسحب الذيل على الأذى، وترضى من الغنيمة بالإياب، وتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله! بله أن تدع قيصر يغتصب حق الله.

لقـد آن الأوان أن يعلم النَّـاس أن قيصر وما لقيصـر لله الواحد القهار، إنَّ حكم الله لا يخضع لقيصر، ولكن قيصر هو الَّذي يخضع لحكم الله.

وإذن فلا بدَّ لهذه الرسالة ودعاتها من صدام مع الطغاة والمتجبرين، مع القياصرة وأشباه القياصرة، مع أدعياء الألوهيَّة بالقول أو بالفعل.

فعلى المسلم أن يعد العدة، ويأخذ الأهبة، ويشهر سيف الحق ليقاوم الباطل، ويحمل معـول التطهير ليهدم صروح التألـه في الأرض، ويثل عروش الطغيان والاستكبار ويرسي دعائم الحرية للعقائد كلها: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فمن فهم طبيعة الرسـالة الإسـلاميَّة لم يصعب عليه تصور الجهاد فريضة من فرائضها، وعبادة من عباداتها.

ولقـد كان الله تعالى ينتقم لرسـله والمؤمنين ـ قبل الإسـلام ـ من الطغاة المكذبين بنقم سـماوية، وخوارق كونية، ينزلهـا بأعدائه فتدمر عليهم، وتجعلهم حصيدًا خامدين، كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وهامان وقـارون وغيرهم، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

QaradawiBooks.com

ولكن الله فضل هذه الأمة الخاتمة فلم يجعل الخوارق الكونية أساسًا في ثبوت رسالتها، ولا في نصرة دعوتها[١]، ولو شاء الله لخسف بأعدائها الأرض، أو أسقط عليهم كسفًا من السماء، وأراح رسوله والمؤمنين من عناء الجهاد.

بيد أنَّ الله تعالى كرم هذه الأمة، وأسبغ عليها فضله، وأتم عليها نعمته، فكلفها عبء الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله، ومدافعة الباطل بما معها من حق، معدة لأعدائها ما استطاعت من قوة، ومعتمدة بعد ذلك على الله تعالى، ولهذا أنكر القرآن على فريق من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كراهيتهم للقاء المشركين في بدر، فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۞ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨].

ثم إنَّ حياة الإنسان قائمة على الابتلاء: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وابتلاء الإنسان المؤمن أشد من غيره، لأنَّه صاحب دعوة، وحامل رسالة،

(١) قلت: لم يجعلها أساسًا، بمعنى أنَّها ليست هي الأصل والعمدة في ذلك، وهذا لا ينفي أن تكون هناك خوارق كثيرة لتأييد نبوة رسول الله ﷺ بعد معجزته الكبرى وآيته العظمى، وهي القرآن، بل هذا ما ثبت بالفعل ثبوتًا مستفيضًا قاطعًا، كما لا ينفي أن يقع كثير من الخوارق نصرة للمؤمنين، منذ عهد النبي ﷺ، مثل: نزول الملائكة في بدر والخندق وحنين، وغير ذلك، ممَّا حفلت به الكتب والمصادر الموثقة.

QaradawiBooks.com

وكذلك الجماعة المؤمنة المبتلاة بالجماعـاة الكافرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وممَّـا لا ريب فيـه أنَّ التكليـف الَّذي ميـز الله به هـذا النوع من المخلوقات ـ آدم وذريته ـ قائم على الابتلاء، وعلى أساسـه قام الثواب والعقاب، وقامت سوق الجنة والنار.

فقد شـاء الله أن تقوم هذه الحياة وهذا الكون على الازدواج: الخير مشـوب بالشـر، واللذة ممزوجة بالألم، والنهار يعقبه ليل، وهكذا في الكون المادي نور وظلام، وفي العوالم الغيبية ملائكة وشـياطين، وفي بني الإنسان أخيار وأشـرار، وفي النفس الإنسانية خواطر يلهمها ملك، ونزغات يوسوس بها شيطان.

وقد ابتلـى الله المؤمنين بالكافرين، كما ابتلـى الكافرين بالمؤمنين، وأعطى كلًّا منهم عُدده وأسلحته وأعوانه، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم، ويمتحن من يتولاه ويتولى رسـله ممَّن يتولى الشيطان وحزبه، وفي ذلـك يقـول سـبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقـان: ٢٠]، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. وهو تعالى عليم بذات الصدور، ولا تخفى عليه خافية في الأرض أو في السـماء، ولكنَّه يعامل عباده معاملة المختبر، ليجزيهم بما عملوا لا بما علم أنَّهم سيعملونه، ويقيم عليهم الحجة، ويبطل الأعذار والتعللات: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

QaradawiBooks.com

شبهة مردودة:

ولقد زعم بعض المتحاملين على الإسلام أنَّ الإسلام شهر السيف ليكره النَّاس على الدخول فيه، ونسي هؤلاء أن طبيعة الإسلام ترفض الإيمان إذا لم يأت عن طريق الاقتناع والاختيار الحر، وقد قال الله تعالى لرسوله في القرآن المكي: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالى في القرآن المدني: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وما كان الجهاد في الإسلام إلَّا لرد العدوان وإزاحة قوى الطغيان، ليختار الإنسان لنفسه، ويقرر مصيره بإرادته دون فتنة ولا اضطهاد.

لقد بعث رسول الله ﷺ بالرسالة الخاتمة، وقام يدعو النَّاس إلى التحرر من العبودية لغير الله، من العبودية للأوثان، ومن العبودية للطبيعة، ومن العبودية لكل الأشياء، في الأرض أو في السماء، ومن العبودية للأشخاص أيًّا كانوا: مرئيين من الإنس، أو مستورين من الجن، أو الملائكة، ومن العبودية للأوهام والأهواء أيا كان نوعها.

دعا إلى ذلك المشركين الَّذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى ممَّا يرى وما لا يرى، حتَّى عبدوا الأحجار، واتخذوا أربابًا من العجوة إذا جاعوا أكلوها: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣].

ودعا إلى ذلك أهل الكتاب الَّذين حرَّفوا كتبهم، وبدَّلوا دينهم، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

ولهذا كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يختم دعوته إلى رؤسائهم بهذه الآية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

QaradawiBooks.com

ولكن المشركين وأهل الكتاب وقفوا في وجه هذه الدعوة التحريرية المخلصة، رغـم أنَّ صاحبها لـم يدعهم إليهـا إلَّا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يجادلهم إلَّا بالتي هي أحسـن، تاليًا عليهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافـرون: ٦]، ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

ولكن القوم أبوا أن يعاملوه بالمثل، بل كان منطقهم يقول: لنا ديننا، وليس لك دينك، ولنا عملنـا، وليس لك عملك، مـن حق الحجر أن يعبد، وليس من حق الله أن يوحد، لأهل الأوثان أن تكون لهم السـلطة والسيادة، وليس لأهل التوحيد إلَّا المطاردة أو الإبادة.

ومن هنا كان الإيـذاء والتعذيب، وكانت المقاطعـة والتجويع، ثمَّ كانـت الهجرة والإخـراج مـن الديـار، ولا جريمة لصاحـب الدعوة والمؤمنين معه إلَّا الإيمان بالله والدعوة إلى توحيده.

فلا عجب أن أذن الله للرسـول والمؤمنين أن يدافعوا عن أنفسـهم، ويذودوا عن دعوتهـم وحرياتهم، بل حرية أهل الأديـان جميعًا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحـج: ٣٩، ٤٠]. وتتالت أوامر القرآن تعد الأمة للجهاد وقتال قوى الشرك كما تقاتل هي الإسلام: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

كما أنَّ الجهاد في الإسـلام ليس لتحقيق هدف استعماري أو مغنم

QaradawiBooks.com

دنيوي، ولو شابه شيء من ذلك لم يعد جهادًا في سبيل الله، وبطل أجر صاحبه، بل كان من أوَّل من تسعر بهم النار.

فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل للمغنم، أو حمية ـ أي: عصبيَّة لقومه ـ أو ليرى مكانه، فكان جوابه القاطع: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1].

إنَّ الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو جهاد في سبيل الله لا في سبيل الطاغوت، وهو جهاد لمقاومة طغيان الباطل لا لإكراه النَّاس على الحق، وهو شعبة من رسالة المسلم في الحياة، إلى جوار العبادة لله، وفعل الخير للناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ...﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

فلا عجب أن جعله الأستاذ البنَّا جزءًا أساسيًّا من أجزاء الإسلام: «فهو جهاد ودعوة، وجيش وفكرة»، كما أنَّه عقيدة وعبادة سواء بسواء.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ملاحظتان حول فكرة الشمول الإسلامي

وأود هنا أن أبرز ملاحظتين هامتين:

الشمول والجزئيات:

الأولى: أنَّ الشمول الإسلامي الَّذي يضم العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب، والتشريع والمعاملات، والنظم والحضارة، إلى آخره: لا يعني أنَّ الإسلام جاء بتفصيلات كاملة لجزئياتها، وفصَّل كل شيء فيها تفصيلًا.

فهذا غير صحيح، وهو ليس من الدين ولا الواقع في شيء.

إن عناية الإسلام إنَّما هي بالكليات والمقاصد، والقواعد الأساسيَّة، والأحكام الضابطة للأمور الَّتي من شأنها الثبات، ولو اختلفت الأزمان والبيئات والأحوال.

وفيما عدا ذلك يتخذ الإسلام أحد طريقين:

١ ـ إما أن يترك الأمر للناس، ويسكت عن الحكم فيه رحمة بهم، وتوسيعًا عليهم، من غير نسيان ولا إهمال، وهذه هي المنطقة الَّتي سمَّيناها «منطقة العفو» أخذًا من الحديث النبوي الَّذي رواه أبو الدَّرْدَاء عن النبي ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام،**

QaradawiBooks.com

وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكن لينسى شيئًا»، ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(١)].

وهنا تختلف اجتهادات الفقهاء لملء هذه المنطقة بما لديهم من أدوات الاجتهاد، إما عن طريق القياس على المنصوص عليه بشروطه، أو بطريق الاستصلاح، أو الاستحسان، أو الاستصحاب، أو غير ذلك من الأدلَّة التبعية، الَّتي أخذ بها من أخذ، ورفضها من رفض، وتوسع فيها قوم، وضيق آخرون.

٢ ـ وإما أن ينص عليها نصًّا إجماليًّا، على معنى أنَّه لا يتعرض للجزئيات والتفصيلات الكثيرة المتنوعة، والمختلفة باختلاف الزمان والمكان والعرف والحال، ولهذا عرف باستقراء أحكام الشريعة ونصوصها: أنَّها تفصل فيما شأنه الثبات وتجمل فيما شأنه التغير.

ولهذا نجد موضوعًا مثل شؤون الأسرة من زواج وطلاق ومواريث، ونحوها، فيه كثير من التفصيل في أحكامه في القرآن والسُّنَّة، لأن شأن الأسرة هو الثبات، وعدم الخضوع للتقلبات والتغيرات.

على حين نجد موضوعًا مثل نظام الحكم، وما يتعلق بتكوين الحكومة وشكلها، وكيفيَّة الشورى إلخ، جاء في الإسلام مجملًا غير مفصل، لأنَّ مثل هذا الموضوع قابل للتطور والتغير بتغير الزمان والمكان، وأحوال الإنسان، فالإلزام بصور أو أحكام مفصلة فيه يعوق انطلاق المجتمع، ويجمد حركته، ويقيد حريته.

* * *

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

الشمول لا يعني إهمال مراتب الأعمال:

والملاحظة الثانية: أنَّ شمول الإســلام للعقائد والعبادات والأخلاق والآداب والمعاملات والنظم الاجتماعيَّة المختلفة لا يعني أن هذه الأمور كلها في مرتبة واحدة، بل هي متفاوتة بيقين في منزلتها من الدين، كما أنَّ في داخل كل منها ما يعد من الأصول، وما يعد من الفروع، ما هو من الأركان، وما هو من المكملات، ما هو من الفرائض وما هو من النوافل، ما هو قطعي وما هو ظني، وما هو متَّفق عليه وما هو مختلف فيه، ما هو في مرتبة الضروريات، وما هو في مرتبــة الحاجيات، وما هو في مرتبة التحسينات، على حد تقسيم الأصوليين.

وهذا أمر جد مهــم، حتَّى يأخذ كل عمل مرتبتــه، وتأخذ كل مرتبة حكمها، ولا نذيب الفواصــل بين الأعمال بعضها وبعــض، كما يفعل بعض الناس، الَّذيــن يعاملون الفروع معاملة الأصول، والســنن معاملة الفرائض، والمكروهات كالمحرمات، والأمــور المختلف فيها كالأمور المتَّفق عليها، والظنيات كالقطعيات، ولهذا تضطرب أحكامهم، ويختلط عليهم الأمر ويبعدون عن سواء السبيل.

وهذا أمر نبهت على ضرورة الالتفات إليه في أكثر من كتاب لي، وخصوصًا في كتابي «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف»، وقد ســميته فيه «فقه مراتــب الأعمال»، الَّــذي فرط فيه المســلمون في الأعصار الأخيرة، وأغفلوا فيه حفظ «النســب الشرعيَّة» بين الأعمال بعضها وبعض.

كما أكدت ذلك في كتابي «أولويات الحركة الإسلاميَّة في المرحلة القادمة»، وأدخلت ذلك فيما ســميته «فقه الأولويات»، وهو يكمل فقها

QaradawiBooks.com

آخر، هو: «فقه الموازنات»، والحركة الإسلاميَّة المعاصرة أحوج ما تكون إليهما جميعا.

قلت في ذلك الكتاب: من فقه الأولويات: مراعاة النسب بين الأعمال والتكاليف الشرعيَّة.

إنَّ الإخلال بالنسب الَّتي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعيَّة يحدث ضررا بليغا بالدين والحياة.

إنَّ العقيدة في الإسلام مقدمة على العمل؛ لأنَّها الأساس، والأعمال هي البناء، ولا بناء بغير أساس.

وبعد العقيدة تأتي الأعمال، وهي متفاوتة تفاوتًا بعيدًا، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**»[1].

والقرآن يبين لنا أنَّ الأعمال تتفاضل عند الله، وليست في درجة واحدة، يقول تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج.

بل ذكر فقهاء الحنابلة وغيرهم أنَّ الجهاد أفضل ما يتطوع به من أعمال البدن.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي فضل الجهاد جاءت أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسـول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله**»[١].

وقال ﷺ لمن أراد الاعتزال للعبـادة: «**لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما**»[٢].

وفي فضل الرباط جاء حديث سلمان مرفوعًا: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شـهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الَّذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان**»[٣].

وهذا ما جعل إمامًا مثل: عبد الله بـن المبارك وهو في أرض الرباط يكتب إلى صديقه الفضيل بن عيـاض الزاهد العابد، وهـو ينتقل بين الحرمين مكَّة والمدينة متعبدًا:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتَنا ... لعلمتَ أنَّكَ بالعبادةِ تلعبُ!

من كان يخضبُ خدَّه بدموعه ... فنحورنا بدمائنـا تتخضبُ!

إلى آخر الأبيات[٤].

ومن المُقَرَّر فقهًـا: أنَّ النافلة لا يجوز تقديمهـا على الفريضة، وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، وأنَّ فرض الكفاية ـ الَّذي لم يقم به أحد أو عدد يكفي ـ مقدم علـى فرض الكفاية الَّذي قام به من يكفي

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العتق (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان (٨٤)، عن أبي ذر.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٠٧.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٣)، وأحمد (٢٣٧٢٨).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٩/٣٢، ٤٥٠)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويسد الثغرة، وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفـراد، وأنَّ الواجب المحدد الوقت والَّذي جاء وقته بالفعل مقدم على الواجب الموسع في وقته.

ومن المقرر كذلك أنَّ المصالح المقررة شـرعا متفاوتة فيما بينها، فالمصالـح الضروريَّـة مقدمة على الحاجيـة والتحسـينية، والمصالح الحاجية مقدمـة على التحسـينية، والمصالح المتعلقـة بمصالح الأمة وحاجاتها أولى بالرعاية من المصالـح المتعلقة بالأفراد عند التعارض، وهنا نجد فقه الموازنات يلتقي فقه الأولويات.

إنَّ آفة كثير من فصائل الصحوة الإسلاميَّة هي غياب فقه الأولويات عنها، فكثيرًا ما تهتم بالفروع قبـل الأصول، وبالجزئيات قبل الكليات، وبالمختلف فيه قبل المتَّفق عليه، وتسأل عن دم البعوض، ودم الحسين مهراق، وتثير معركة من أجل نافلة، وقد ضيـع النَّاس الفرائض، أو من أجل شكل أو هيئة، دون اعتبار للمضمون.

وهذا هو الحال عند عموم المسلمين، أرى الملايين يعتمرون تطوعًا كل عام في رمضان وغيره، ومنهم من يحج للمرة العاشرة أو العشرين، ولو جمع ما ينفقـه هؤلاء في هذه النوافل لبلـغ آلاف الملايين، ونحن نلهث من عدة سـنوات لتجميـع ألف مليـون دولار للهيئـة الخيرية الإسلاميَّة، فلم نحصل على عشر المبلغ، ولا نصف عشره، ولا ثلثه! ولو قلت لهؤلاء المتطوعين بالعمرة أو الحج: ادفعوا ما تنفقونه في رحلتكم التطوعية لمقاومة التنصير أو الشـيوعية في آسيا وإفريقيا، أو المجاعات هنا وهناك، ما استجابوا لك، وهذه آفة قديمة شكا منها أطباء القلوب[1].

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤٠٩/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإنَّ من فقه الأولويات: أن نعرف أي القضايا أولى بالاهتمام فتعطى من الجهد والوقت أكثر ممَّا يعطى غيرها.

وقد أنكـر الإمام الغزالـي في «الإحيـاء» على بعض فـرق العباد والمتصوفة غرورهم ببعض أنواع العبـادة، دون مراعاة لمراتب الأعمال والطاعات، ومنزلة بعضها من بعض، من حيث إن فيها النافلة والفريضة، وفرض الكفاية وفرض العين، والفرض المحدد وقته، والفرض الموسع فيه، والفرض المتعلق بالفرد، والفرض المتعلق بالأمة.

ومن الكلمات المعبرة هنا للغزالي رضي الله عنه: «ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور»[(١)].

إنَّ شمول الإسلام لكل جوانب الحياة لا يعني تضييع النسب بينها، والإخلال بمراتبها الشـرعيَّة، كما جاء بها الإسلام، وهذا هو الفقه حقًّا: «**ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[(٢)].

* * *

(١) انظر: أصناف المغرورين للغزالي صـ ٥٩، تحقيق عبد اللطيف عاشـور، نشر مكتبة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة، وكتابنا: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه صـ ٩٣ ـ ٩٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٧.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ملحق: إسلام الإخوان المسلمين

يقول الإمام الشهيد حسن البنَّا في «رسالة المؤتمر الخامس»: «اسمحوا لي أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير، ولست أعني به أن للإخوان المسلمين إسلامًا جديدًا غير الإسلام الَّذي جاء به سيِّدنا مُحَمَّد ﷺ عن ربه، وإنَّما أعني أنَّ كثيرًا من المسلمين في كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتًا وأوصافًا وحدودًا ورسومًا من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخدامًا ضارًّا ـ مع أنَّها لم تكن إلَّا للحكمة السامية ـ فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافًا عظيمًا، وانطبعت للإسلام في نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأوَّل الَّذي مثله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل.

فمن النَّاس من لا يرى الإسلام شيئًا غير حدود العبادة الظاهرة، فإن أدَّاها أو رأى من يؤدِّيها اطمأنَّ إلى ذلك ورضي به وحسبه قد وصل إلى لبِّ الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامَّة المسلمين.

ومن النَّاس من لا يرى الإسلام إلَّا الخلق الفاضل والرُّوحانيَّة الفياضة، والغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة.

ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني الحيوية

QaradawiBooks.com

العمليَّة في الإســلام، فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبه التفكير في سواها.

ومنهم من يرى الإسلام نوعًا من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية الَّتي لا غناء فيهــا ولا تقدم معها، فهو متبرم بالإســلام وبكل ما يتصل بالإســلام، وتجد هذا المعنى واضحًا في نفوس كثير مــن الَّذين ثقفوا ثقافة أجنبيَّة، ولم تتح لهم فرص حســن الاتصال بالحقائق الإسلاميَّة، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئًا أصلًا، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين.

وتحت هذه الأقسام جميعًا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلًا أو كثيرًا، وقليل من النَّاس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعًا.

هذه الصــور المتعددة للإســلام الواحد في نفــوس النَّاس جعلتهم يختلفون اختلافًا بينًا في فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم.

فمن النَّاس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقــدم للناس العظــات، فتزهدهم فــي الدُّنْيا وتذكرهم الآخرة.

ومنهم من يتصور الإخوان المســلمين طريقة صوفيــة تعنى بتعليم النَّاس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة.

ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهيــة كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضــل عنها، وتحمل النَّاس عليها، وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها.

QaradawiBooks.com

وقليل من النَّاس خالطوا الإخوان المسلمين وامتزجوا بهم، ولم يقفوا عند حدود السماع، ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلامًا يتصورونه هم، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علمًا وعملًا.

ولهذا أحببت أنَّ أتحدث لحضراتكم في إيجاز عن معنى الإسلام وصورته الماثلة في نفوس الإخوان المسلمين، حتَّى يكون الأساس الَّذي ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحًا جليًّا:

١ ـ نحن نعتقد أنَّ أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون النَّاس في الدُّنْيا وفي الآخرة، وأنَّ الَّذين يظنون أنَّ هذه التعاليم إنَّما تتناول الناحية العبادية أو الرُّوحيَّة دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه، ويوصي بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وإنك تقرأ في القرآن وفي الصلاة إن شئت قول الله تعالى في العقيدة والعبادة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وتقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياسة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

QaradawiBooks.com

وتقرأ قوله تعالى في الدين وفـي التجارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وتقرأ قوله تعالى في الجهاد والقتال والغزو: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٢]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها، وفي غيرها من الآداب العامَّة وشؤون الاجتماع.

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أنَّ الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشـامل، وأنَّه يجب أن يهيمن على كل شـؤون الحياة، وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتسـتمد منهـا ما دامت الأمة تريد أن تكون مسـلمة

QaradawiBooks.com

إسلامًا صحيحًا، أمَّا إذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها، فهي أمة ناقصة الإسلام تضاهئ الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢ ـ إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلاميَّة ومعينها هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبدًا، وأنَّ كثيرًا من الآراء والعلوم الَّتي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور الَّتي أوجدته والشعوب الَّتي عاصرتها، ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلاميَّة الَّتي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي، معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبويَّة حتَّى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشريَّة جميعًا.

٣ ـ وإلى جانب هذا أيضًا يعتقد الإخوان المسلمون أنَّ الإسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصًا في الأمور الدُّنْيَوِيَّة البحتة، فهو إنَّما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، ويرشد النَّاس إلى الطريق العمليَّة للتطبيق عليها والسير في حدودها.

ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل عني الإسلام عناية تامَّة بعلاج النفس الإنسانية، وهي مصدر النظم ومادة

QaradawiBooks.com

التفكير والتصوير، والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسـلها من أدران الغـرض والغاية ويهديهـا إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنهـا صالحًا جميلًا، يقولون إنَّ العدل ليس في نص القانون ولكنَّه في نفس القاضي، وقد تأتي بالقانون الكامل العادل إلى القاضي ذي الهوى والغاية فيطبقه تطبيقًا جائرًا لا عدل معه، وقد تأتي بالقانون الناقص والجائر إلى القاضي الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقًا فاضلًا عادلًا فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف، ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله، وكانت النفـوس الأولى الَّتي صاغها هذا الإسـلام مثـال الكمال الإنساني، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضًا كان الإسلام لا يأبى أبدًا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامَّة.

لا أحب أيها السادة أن أسترسـل في هذا البيان، فذلك باب واسع، وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقي ضوءًا على هذا المعنى العام للفكرة الإسلاميَّة في نفوس الإخوان المسلمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعاني الإصلاحية

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الَّذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك: إنَّ الإخوان المسلمين:

١ ـ **دعوة سلفية:** لأنَّهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

٢ ـ **وطريقة سنية:** لأنَّهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصَّة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.

٣ ـ **وحقيقة صوفية:** لأنَّهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.

٤ ـ **وهيئة سياسية:** لأنَّهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلاميَّة بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

٥ ـ وجماعة رياضية: لأنَّهم يعنون بجســومهم، ويعلمون أنَّ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وأنَّ النبي ﷺ يقول: «**إن لبدنك عليك حقًّا**»[(١)]، وأنَّ تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلَّا بالجســم القوي، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جســم يحتمل أعباء الكســب والعمل والكفاح في طلب الــرزق، ولأنَّهم تبعًا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع ـ وربَّما فاقت ـ كثيرًا من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها.

٦ ـ ورابطة علميَّة ثقافية: لأنَّ الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومســلمة، ولأنَّ أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

٧ ـ وشــركة اقتصادية: لأنَّ الإســلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه، وهو الَّذي يقول نبيه ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[(٢)]، ويقول: «**من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له**»[(٣)]، «**إنَّ الله يحب المؤمن المحترف**»[(٤)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في الزكاة (٣٢١٠)، والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٩٩)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٧٥٦)، عن عمرو بن العاص.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣٨): رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم. وضعَّفه العراقي في تخريج الإحياء صـ ٥٣٦. عن ابن عباس. ومن الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢): «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود** عليه السلام **كان يأكل من عمل يده**».

(٤) رواه الطبراني في الأوســط (٨٩٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣١): رواه الطبراني في الكبير والأوســط وفيــه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

٨ ـ **وفكـــرة اجتماعيَّة:** لأنَّهم يعنـــون بأدواء المجتمع الإســـلامي، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها، وشفاء الأمة منها.

وهكذا نرى أن شـــمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولًا لكل مناحي الإصلاح، ووجه نشـــاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الَّذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها، يتجهون إليها جميعًا، ويعلمون أنَّ الإسلام يطالبهم بها جميعًا.

ومن هنـــا كان كثير مـــن مظاهر أعمـــال الإخوان يبدو أمـــام النَّاس متناقضًا وما هو بمتناقض.

فقد يرى النَّاس الأخ المســـلم فـــي المحراب خاشـــعًا متبتلًا يبكي ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظًا مدرسًـــا يقرع الآذان بزواجر الوعظ، وبعد قليل تراه نفســـه رياضيًّا أنيقًا يرمي بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص، هذه مظاهر قد يراها النَّاس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنَّها جميعًا يجمعها الإسلام ويأمر بها الإســـلام ويحض عليها الإســـلام لتحققوا فيها مظاهـــر الالتئام ومعاني الانسجام، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ ومواطن النقد والتقصير.

كما اجتنبوا التعصب للألقاب؛ إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد، هو: «الإخوان المسلمون»[1] انتهى.

* * *

(١) رسالة المؤتمر الخامس ضمن مجموعة الرسائل صـ ١١٨ ـ ١٢٣.

QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾	٨٥	٤٨، ١٢٦
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	٦٦، ٩٢، ٩٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾	١٧٨	٤٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾	١٨٠	٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٤٦
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٤، ٤٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٤٦
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	١١١
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	٢٥٦	١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾	٢٨٢	٤٦، ١٢٥
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾	٢٨٦	١٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾	٧	١٩
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾	٦٤	٦٧، ١٠٨، ١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾	١٠٠	٩٦
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾	١٠٣	٩٦
﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾	١٠٤	٤، ٦٩، ٩٤
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾	١٠٥	٤، ٩٦
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	١١٠	٩٢، ٩٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾	١١٨	٨١
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	٥٨، ١٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾	٥٩	٥٨
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾	٦٥	١٢٤
﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٨٩	٦١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	٩٧ ـ ٩٩	٦١
﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم﴾	١٠٢	١٢٥
﴿وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾	١٣٥	٩٠
﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا﴾	١٤١	٨١
سورة المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾	٣	٩٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾	٨	٩٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٣٥	١٠٦
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾	٤٩	٤٨
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٥٢
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾	٧٨	٩٥
﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾	٧٩	٩٥
سورة الأنعام		
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	٥٢
﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾	١٤٩	١١١
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٩٥
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾	١٦٢، ١٦٣	٤، ٩٢
سورة الأعراف		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٩٤
سورة الأنفال		
﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾	٥ ـ ٨	١١٠
﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾	٣٩	١٠٩
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	٦٠	١٠٣
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾	٧٢	٦١
سورة التوبة		
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	١٩	١١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾	٢٠	١١٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٢٣	٩٨
﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾	٢٤	٩٨
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾	٣٦	١١٣
﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	٢٧
سورة يونس		
﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	٤١	١١٣
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٢٠
﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	٩٩	١١٢
سورة النحل		
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	٤، ٤٧، ٧٣
سورة الكهف		
﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾	١٠٣	٢٤
﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾	١٠٤	٢٤
سورة مريم		
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾	٦٤	٥، ١١٦
سورة الأنبياء		
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	٩٢	٩٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	١١٣
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	١١٣
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٦٦
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾	٥٤	٢٣
﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾	٧٣	١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾	٧٧	١٠٦، ١١٤
﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾	٧٨	٩١، ١٠٦، ١١٤
سورة المؤمنون		
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٩٥
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٩٤
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾	٢٠	١١١
سورة القصص		
﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾	٧٧	١٢٤
سورة العنكبوت		
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم﴾	٤٠	١٠٩
سورة فاطر		
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾	٨	٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾	٤	١١١
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	١٩	٢٣
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	١١١
﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾	٣٨	١٠٠
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٩٦
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	١٣	١٠٨
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾	١٤	١٠٦
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾	١٥	١٠٦
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾	٢٥	٦٤
سورة المجادلة		
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾	٢٢	٩٨
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٨٣
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٨١
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	١١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البلد		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾	٤	١١٠
سورة البينة		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٥	١٢٤
سورة الكافرون		
﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾	٦	١١٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

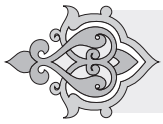

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟!	٩٠
إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليُؤَمِّروا أحدهم	٦٣
إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظروا الساعة، قيل: وكيف إضاعتها؟	٥٨
ألا إنَّ رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار	٦٢
أَمِّروا أحدكم	٦٢
إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليَّة وتعظمها بالآباء، النَّاس لآدم	١٠١
إنَّ الله يحب المؤمن المحترف	١٢٩
أن تُعِينَ قومَكَ على الظلم	٩٠
إنَّ السلطان ظلُّ الله في الأرض	٦٣
إن لبدنك عليك حقًّا	١٢٩
الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله	١١٩
الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى	١١٨
ت	
تَعَلَّموا من أنسابكم ما تَصِلُون به أرحامَكم	٩٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ح	
الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها	٢٠
خ	
خيرُكم المدافعُ عن عشيرته ما لم يأثم	٩٨
د	
دعوها فإنَّها مُنْتِنَة	٩١
ر	
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله	١١٩
س	
سُئل عليٌّ رضي الله عنه: هل خصَّكم رسولُ الله ﷺ بشيء؟ قال: لا	٢٨
ف	
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم	٢٥
ل	
لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقابَ بعض. سبابُ المسلم فسوق	٩٧
لا تفعلْ، فإنَّ مُقَام أحدِكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا!	٥، ١٠٧، ١١٩
لا فضل لعربي على أعجمي إلَّا بالتقوى	١٠١
لا يحلُّ لثلاثةٍ أن يكونوا بفلاةٍ من الأرض إلَّا أمَّروا عليهم أحدهم	٦٣
ليس مِنَّا من دعا إلى عصبيَّة، أو قاتل على عصبيَّة، أو مات على عصبيَّة	٩٠
ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك	٤٧
م	
ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ	٥، ١١٥

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده	١٢٩
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه	٩٦
المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجِير عليهم أقصاهم	٩٦
من أمسى كالًّا من عمل يده أمسى مغفورًا له	١٢٩
مَنْ قاتلَ تحت رايةٍ عُمِّيَّة يغضب لعصبةٍ، أو يدعو إلى عصبةٍ	٩٠
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله	١١٤
من مات وليس في عنقه بَيْعة، مات مِيتَةً جاهليَّة	٥٩
من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين	٢٧
ن	
الناس معادن، خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا	٩٩
نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح	٥، ١٢٩
و	
وعليك بالجهاد، فإنَّه رهبانيَّة الإسلام	١٠٧
وكونوا عباد الله إخوانًا	٨١
ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	١٢١
ي	
يا أُصَيْلُ، دع القلوبَ تَقِرَّ	٨٠
يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وصيامَه إلى صيامهم، وقراءتَه إلى قراءتهم	٢٥
يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان	٢٥
يقرؤون القرآن لا يُجاوِزُ حناجرهم	٢٥

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

خلاصة مُرَكَّزة لقراءات مُطوَّلة ١١

❖ **الأصول العشرون** **١٧**

❖ **لماذا قدَّم الإمام البنَّا ركن «الفهم»؟** **٢٢**

وضرورة الإنسان المسلم للعلم تتمثَّل فيما يلي ٢٦

لماذا عبَّر الأستاذ بـ «الفهم» بدل «العلم»؟ ٢٦

صحَّة الفهم من أعظم النعم ٢٧

لماذا نُعْنَى بشرح هذه الأصول؟ ٢٨

لمن كتب حسن البنَّا هذه الأصول ٣٠

من مزايا هذه الأصول ٣٣

اتِّجاه التجميع والتوفيق ٣٤

نسخة إلكترونية

QaradawiBooks.com

❖ **الأصل الأول: الإسلام نظام حياة شامل ٣٩**

موقف التجمعات الدِّينيَّة في مصر عند ظهور دعوة البنا ٤٠

موقف الأحزاب السياسيَّة ٤٣

مقاومة التجزئة المصطنعة لدعوة الإسلام ٤٤

لماذا تبنَّى الإمام البنَّا فكرة الشمول؟ ٤٦

الأوَّل: شمول تعاليم الإسلام ٤٦

الثاني: الإسلام يرفض تجزئة أحكامه وتعاليمه ٤٧

الثالث: الحياة وَحْدَة لا تتجزَّأ ولا تنقسم ٤٩

جوانب أساسيَّة في الإسلام الشامل ٥٢

من هذه الجوانب ٥٣

مكانة الدولة من الإسلام ٥٥

الدليل من نصوص الإسلام ٥٨

الدليل من تاريخ الإسلام ٦٠

الدليل من طبيعة الإسلام ٦٢

حاجتنا إلى دولة تحتضن الإسلام ٦٧

لو كانت لنا حكومة ٦٨

الإسلام والسياسة ٧٠

الوطن والوطنيَّة ٧٧

حدود وطنيتنا ٨٢

غاية وطنيتنا ٨٢

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الوحدة واختلاف الدين ٨٣
الوطنيَّة المصريَّة عند الإمام ٨٤
المؤتمرات الوطنيَّة العامَّة ٨٥
وذكر هنا عدة وسائل ٨٦
الأمة في الإسلام ٨٩
أوصاف الأمة الأساسيَّة في القرآن ٩٢
الأول: الربانية ٩٢
والثاني: الوسطيَّة ٩٣
والوصف الثالث: الدعوة ٩٣
والوصف الرابع: الوحدة ٩٥
الإيمان بالأمة لا ينفي خصوصيَّات الأقوام ٩٧
القوميَّة عند حسن البنا ٩٩
خواص العروبة ١٠١
مكانة الجهاد في دعوة الإمام البنَّا ١٠٢
مكانة الجهاد في الإسلام ١٠٥
سر فرضية الجهاد في الإسلام ١٠٧
شبهة مردودة ١١٢

❖ ملاحظتان حول فكرة الشمول الإسلامي ١١٥

الشمول والجزئيات ١١٥
الشمول لا يعني إهمال مراتب الأعمال ١١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **ملحق: إسلام الإخوان المسلمين** **١٢٢**

❖ **فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعاني الإصلاحية** **١٢٨**

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **١٣٣**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **١٤١**

• **فهرس الموضوعات** **١٤٥**

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية